من ذاكرة مجلة المنتدى

مواقف من السيرة

الجزء الأول

تأليف الشيخ :

عقيل بن محمد بن زيد المقطري



١٩

سلسلة نحو ثقافة ملتزمة



مركز الكلمة الطيبة للبحوث والدراسات العلمية
صنعاء ـ شارع الحرية ـ مقابل جولة معهد الميثاق .
هاتف : ٢٥٣٤٦١ / ٠١ / ٠٠٩٦٧
ناسوخ : ٢٥٣٤٦٠ / ٠١ / ٠٠٩٦٧
ص.ب :١٤٤٨٠ مكتب بريد معين
البريد الإلكتروني : E:mail:alkalemacenter@yahoo.com

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على البشير النذير ، نبينا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فإن لكل عمل دؤوب ومتميز ذاكرة زاخرة تحتفظ بجميع محطاته ووقفاته ؛ لتستعيدها وتراجعها في زمن لاحق ، رغبة في طلب العبرة ، أو المقارنة بين الماضي والحاضر ، أو البحث عن خلاصة تجربة أو حكمة بليغة ، أو رؤية ناقدة بصيرة وصل إليها – بعد معايشة ومعاناة – صاحب علم أو فكر أو تجربة .

عندما يتم ذلك ، وتمر الأيام والسنون ، تصبح هذه الذاكرة خزانة تحتفظ بالغالي والنفيس ، ليس من الجواهر والحلي المادي، وإنما من الرؤى والأفكار والتجارب التي تمثل خلاصة تجارب الرواد من العلماء والدعاة ، ومن بعد ذلك المؤسسات والأمم والدعوات .

إن الرجوع إلى مثل هذا النوع من الخزائن ، والتنقيب والتأمل فيها بشكل متكرر، هو متعة العقلاء أصحاب الهمم العالية والطموح المتوثب للسموّ والتغيير والرفعة في كل زمان ومكان .

ولـمّا كان التنسيق حاصلاً بين **مجلة المنتدى** اليمنية السلفية ، **ومركز الكلمة الطيبة للبحوث والدراسات العلمية** ، من أجل إخراج سلسلة متنوعة من المقالات والزوايا والملفات التي زخرت بها المجلة خلال سنوات مسيرتها الطويلة ، والممتدة بإذن الله – ابتداءً من عام (١٤١١هـ = ١٩٩١م) – فقد رؤي من جهة المجلة أن تحمل هذه السلسلة عنوان (**من ذاكرة مجلة المنتدى**) تأكيداً على أهمية وضرورة المراجعة والعودة لمثل هذه الجواهر والدرر التي تزخر بها صفحات المجلة ، وما سطره كتابها النجباء تحقيقاً لأهدافها .

وأما من جهة المركز ، فقد رؤي أن يكون مسمى هذه السلسلة (**نحو ثقافة ملتزمة**) .

ولا شك أننا بحاجة اليوم إلى ثقافة شاملة واعية ناضجة ، ولن تتحقق هذه المواصفات إلا بثقافة ملتزمة بالمنهج الشرعي ، وبالثوابت العقدية ، وبالانتماء لهوية الأمة وتاريخها .

وها نحن اليوم نقدم للقارئ الكريم الإصدار الثاني ضمن هذه السلسلة المباركة بإذن الله ، وهو الإصدار (التاسع عشر) ضمن إصدارات كتاب الكلمة الطيبة ، وهذا الإصدار يضم بين دفتيه مجموعة المقالات التي سطرها يراع فضيلة الشيخ عقيل بن محمد بن زيد المقطري ، وذلك من خلال زاويته الثابتة في مجلة المنتدى ، والتي كانت

وما زالت تحمل اسم (مواقف من السيرة) .

ولقد قدمت الزاوية التي شملت (٤١) مقالة نشرت خلال نحو من ثمان سنوات ، بين عامي (١٤١٩ هـ – ١٤٢٦هـ = ١٩٩٨م – ٢٠٠٥م) فوائد متنوعة ودروساً تربوية متميزة ، زادها قوة التجربة الدعوية لكاتبها في الميدان ، ومعرفته لمواطن القوة والضعف في عمل المؤسسات والقيادات الدعوية .

ولهذا فنحسب أن هذه المقالات تعد زاداً تربوياً وقيادياً مهماً ، نرجو أن ينفع الله به الدعاة والمربين والمدعوين .

والله نسأل أن يكتب للشيخ القدير جزيل الأجر والثواب ، ويبارك في علمه وجهده ، ويجعل هذا العطاء في ميزان حسناته ، ويرفع درجته في الدنيا والآخرة .

مركز الكلمة الطيبة
للبحوث والدراسات
صنعاء - اليمن

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . . وبعد :

فإن السنة النبوية وما تشتمل عليه من السيرة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع في ديننا الإسلامي ، ولذا وجب علينا دراسة السيرة النبوية دراسة متعمقة ؛ لنستخلص منها الدروس والدلائل والعبر كي نطبقها في حياتنا .

وتكمن أهمية دروس السيرة النبوية بما يأتي :

١- كون النبي عليه الصلاة والسلام مؤيداً بالوحي ﴿ وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى ﴾ .

٢- كون الأسوة والقدوة التامة به ﷺ : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ .

٣- كونه ثبت نجاح أسلوب النبي عليه الصلاة والسلام . . وغير ذلك .

وهذه المقالات التي بين يديك ما هي إلا جزء من مشروع هذه الدراسة للسيرة النبوية ، نشرت في مجلة المنتدى الرائدة والتي تبنت نشر هذه المقالات ابتداءً من العدد (٥١) ، وهي مستمرة في نشر المقالات .

وإنني في الحقيقة أشعر بالحرج والتقصير في هذه المقالات ، وكنت أتمنى أن يقوم بهذه المهمة من هم متخصصون في هذا المجال وفي المجال التربوي ، لكن عزائي هو في تلك المقالة (ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه) .

وإنني أهيب بمشايخي وأساتذتي المتخصصين أن يقوموا بهذا الدور .

كما أهيب بالدعاة وطلبة العلم أن يدرسوا السيرة النبوية دراسة جادة وعميقة ومؤصلة ، وأن يستخلصوا منها الدروس والدلائل والعبر ، وأن يطبقوا ما يستخلصونه على أرض الواقع .

وإني من باب «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» أتقدم بشكري لله تعالى أولاً ، ثم لمركز الكلمة الطيبة للبحوث والدراسات ، ممثلاً بالأخ القدير الشيخ : الخضر بن عبد الملك الشيباني مدير هذا المركز ، إذ تبنى تجميع المقالات وإصدارها في هذا الكتيب .

أسأل الله تعالى أن ينفع بها كاتبها وقارئها . . إنه سميع مجيب .

عقيل بن محمد المقطري

تعز – اليمن

مواقف من السيرة *

لما كانت بعثة نبينا محمد ﷺ نوراً وهدى للناس ، وكان هو في حياته القدوة والنبراس ، كان لزاماً على الأمة عموماً ، ومنسوبي الصحوة الإسلامية المباركة خصوصاً ، أن يعرفوا سيرته العظيمة ، وحياته المباركة .

فسيرته ﷺ هي الزاد الباقي ، والعطاء المتجدد ، وهي النموذج العملي ، والبرنامج الواقعي لما ينبغي أن يكون عليه المسلمون في أفعالهم وأقوالهم ، وعلاقاتهم بربهم ، ثم بأهلهم ، وعشيرتهم ، وإخوتهم ، وأمتهم ، والناس أجمعين .

وهي رائدهم وهاديهم ، في كل شأن من شئون حياتهم : السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والأخلاقية ، قد وسعت الحياة والأحياء علماً وعملاً ، وكانت لكل المهتدين قدوة ومثلاً .

ولما كانت سيرته ﷺ كذلك ، كانت من أشرف ما يشتغل به المشتغلون ، وينظر فيه الناظرون ، ويدرس الدارسون ، من أجل هذا بدا لي أن تكون مساهمتي عبر هذه الزاوية من مجلة (المنتدى) حول سيرته ﷺ لا على سبيل التسجيل لها ، أو السرد لأحداثها ، ولكن على سبيل الاختيار لمواقف منها ؛ للوقوف عن دلالاتها ، واستلهام الدروس المستفادة منها .

وليست سطوري هذه ، في زاوية العدد هذا – وهي الزاوية الأولى – سوى تمهيد وتقديم ، بين يدي تلك المواقف المنتظر – بإذن الله – اختيارها ، والوقوف عند دلالاتها .

---

* العدد (٥١) (رمضان ١٤١٩هـ = ديسمبر ١٩٩٨م) .

مغبة الإصرار على سوء الفهم !! *

تفاوت الناس في الأفهام ، و اختلاف حظوظهم منها أمر فطري في تكوينهم وخلقتهم ، اقتضته مشيئة المولى ـ سبحانه ـ لحكمة أرادها .

ومن ثم فليس يعيب المرء أن يخطئ في حكم قصر عنه فهمه ، ولم يدركه علمه ، مع إرادته تحري الصواب فيه ، ولكن يعيبه ألا يقبل التصويب والتوجيه ، ممن هو منه أعلم ، وبه أفهم .

وفي السيرة النبوية المباركة ، دروس من هذا كثيرة ، ترينا الفرق جلياً بين الثمرة الطيبة للرجوع إلى الصواب ، والثمرة المرة للتمادي في الخطأ .

وسنومئ ـ إيماء فقط ـ في مثل هذه العجالة ، إلى موقفين اثنين متقابلين من هذه المواقف ، أحدهما يفيء إلى ضفة الهدى ، والآخر ينحرف إلى هوة الردى .

فأما الأول فيتمثل في موقف الأنصار ـ رضي الله عنهم ـ من توزيع رسول الله ﷺ الغنائم بعد غزوة حنين ، حيث آثر بها أناساً ليتألف بها قلوبهم ، ووكل الأنصار إلى إيمانهم ، فكان أن ترك ذلك في نفوسهم شيئاً وآلمهم ، حتى قال قائلهم :«لقي ـ والله ـ رسول الله ﷺ قومه» ، لكنهم مالبثوا أن ثابوا ورضوا بمجرد أن جمعهم الرسول ﷺ وبين الحكمة من ذلك ، بل لقد بكوا حتى اخضلت لحاهم ، حين انتهى إلى قوله :«اللهم ارحم الأنصار ،

* العدد (٥٢) (ذو القعدة ١٤١٩هـ = مارس ١٩٩٩م) .

وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار» ، وقالوا :«رضينا برسول الله قَسْماً وحظاً» .

وأما الموقف الثاني ـ والذي جرى في المناسبة نفسها ـ فموقف ذي الخويصرة التميمي ، الذي قال للرسول ﷺ :«لم أرك عدلت» ، ثم لم يقبل من الرسول بيانه ، وأصر على تخطئة رسول الله ، واعتقاد الصواب عنده ، فكان البذرة الأولى لشجرة طائفة الخوارج ، التي لا زال الناس يعانون مرارتها حتى اليوم .

توسيد الأمر إلى غير أهله *

يلاحظ المراقب لساحة العمل الإسلامي ، أنه ـ أحياناً ـ قد توسد القيادة لغير أهلها ، خلافاً لما درج عليه العمل في القرون الأولى ، فينشأ عن ذلك من الضرر ، ما يؤثر على مسيرة العمل .

وشاهدُنا في موقف هذه الزاوية ، نستلهمه من غزوة حنين ، حيث اجتمعت قبائل هوازن وثقيف وغيرها ، وأمّرت عليها مالك بن عوف ، وكان شاباً شجاعاً ، لكنه لم يكن صاحب تجربة وخبرة ، وقد حملته شجاعته على أن يأمر الناس بسوق نسائهم وأبنائهم وأموالهم معهم ، ليكون ذلك منعاً لهم من الفرار إن أرادوه ، وغاب عنه أن المنهزم إذا كُسرت نفسه لا يرده شيء !

وكان إلى ذلك لا يصغي لمشورة ذوي الخبرة والرأي ، ولقد قال له دريد بن الصمة فيما قال – وكان رجلاً كبيراً قد عمي ، إلا أنه كان رجل حرب – : «وهل يرد المنهزم شيء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ، وإن كانت عليك فُضحت في أهلك ومالك» ، لكنه أبى إلا ما رأى ، وقال : «والله لتطيعني هوازن ، أو لأتكئنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري» .

فماذا كانت النتيجة يا ترى ؟ كانت النتيجة أن صارت تلك الأموال والنساء والأطفال غنيمة للمسلمين ، والحمد لله أن حصل ذلك ، لكن ما

* العدد (٥٣) (محرم ١٤٢٠هـ = إبريل ١٩٩٩م) .

نريد أن نخلص إليه ، هو أن تسليم القيادة لحدث لم تحنكه التجربة ، ولم تنضجه الخبرة ، مع استبداده بالرأي ، ورده نصح أهل المشورة والخبرة ؛ لا يقود إلى فلاح ، ولا يؤول إلى عاقبة محمودة ، وهو ما ينبغي أن يحذره العاملون في الصف الإسلامي ، وما ينبغي أن نستلهمه من هذا الموقف .

المسلمون وفقه الواقع *

لم يزل الجدل حول (فقه الواقع) يتردد بين فريقين من الناس : غال فيه يوجبه، وجاف له يبدِّعه ، بينما الحق وسط بين الفريقين ، إذ الصواب أنه من فروض الكفاية ، ولله در القائل :

خيـــر الأمـــور الأوسط الوســـيطُ

وشـــرها الإفـــراط والتـــفـــريطُ

ومقصودنا من فقه الواقع تتبع أحوال الأعداء ، ومعرفة خططهم ، ومن ثم التهيؤ لمواجهتها ، وفي السيرة النبوية أمثلة حية لذلك .

ففي هجرته ﷺ حين استقر وصاحبه في الغار ، كان المكلّف برصد خطط المشركين في مكة ، عبد الله بن أبي بكر ، وكان يأتيهما بالأخبار ليلاً ، ويعود إلى مكة فجراً ، فيبدو وكأنه بات فيها ، وهذا الرصد يمكن أن ننزله منزلة متابعة وسائل الإعلام المختلفة .

وفي غزواته ﷺ - بل وفي غير غزواته - كان يرسل العيون لرصد تحركات الأعداء ، فإذا علم بنيّة قبيلةٍ غزْوَه ، بادأها به ، كما حدث في غزوة حنين ، فإنه لمّا علم بمسير الأعداء بعث أبا حديرة الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم ، حتى يعلم عملهم ، ثم يأتيه بخبرهم ، ففعل ، فلما تهيأت هوازن للحرب ، جاء فارس فقال : إني طلعت جبل كذا وكذا ، فإذا

* العدد (٥٤) (ربيع الأول ١٤٢٠هـ = يونيو ١٩٩٩م).

أنا بهوازن على بكرة أبيهم ، فبادر رسول الله ﷺ إلى تعبئة الجيش بالسحر ، وعقد الألوية والرايات وتفريقها على الناس ، وبذلك تجنب أن يباغته الأعداء ، وما كان يدرك ذلك لو أنه أهمل فقه الواقع ، وغفل عن مؤامرات الأعداء ، وأخلد إلى الدعة والسكون .

فعلى الحركات الإسلامية أن تستفيد من سيرته ﷺ ، فتكون يقظة واعية ، ترصد الواقع وتعرف أعداءها ، وتستعد لكل حالة بما يناسبها .

خطورة الاغترار بالكثرة *

ليست الكثرة (معياراً) للقوة : ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾ (البقرة : ٢٤٩) ولا (مقياساً) للحق ، ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ (يوسف : ١٠٣) ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ (سبأ : ١٣) ، وإن كان ذلك لا يمنع من التقاء الكثرة والحق إذا توافرت شروط الالتزام : ﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثّركم﴾ (الأعراف : ٨٦) .

ومن الدروس التي يمكن أن تستفاد من السيرة الشريفة درس خطورة الاغترار بالكثرة ، والركون إلى قوة الذات ، وعدم استشعار أن التمكين والنصر إنما يكونان بتوفيق الله وتأييده ، بعد الأخذ بالأسباب المتاحة ، وبصرف النظر عن كمّ العدد والعتاد : ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ (آل عمران : ١٢٦) .

وهذا الدرس يستفاد من غزوة حنين ، حيث كان قوام جيش المسلمين ١٢ ألف مقاتل ، حتى قال قائل منهم : «لن نغلب اليوم من قلة» ، وكانوا بذلك معجبين ، لكن المعركة ما كادت تدور ، حتى دب الارتباك وسط صفوف المسلمين ، بعد أن باغتهم عدوهم بالهجوم ، وولوا إثر ذلك مدبرين ، ولم يثبت سوى رسول الله ﷺ ونفر من الصحابة قليل ، وكان مسلمة الفتح ، الذين لم يعيشوا أجواء التربية الروحية مع رسول الله ﷺ بعد ، من أهم أسباب الانهزام ، حتى قال قائلهم وهو ينظر جموع المنهزمين : «والله لن يرد هذا الجيش المتراجع إلا البحر» وحتى قالوا : «باطل سحر محمد اليوم» ، لكن الذين نالوا حظاً من التربية على يد الرسول ما لبثوا أن تماسكوا ، وما لبثوا أن تنادوا ، فإذا الدائرة تدور على عدوهم ، وإذا هم بعد الهزيمة ينصرون .

وهذا يعني أن على الجماعات الإسلامية ألا تغتر بالكثرة ، وأن تركز على حسن التربية ، فلَعدد قليل حسن التربية ، عميق الإيمان ، يثبت عند الامتحان ، خير من عدد كبير غثائي التكوين ، لا يغني عند الروع شيئاً ، وإن كان ذلك لا يعني ترك السعي إلى تحقيق الصفتين ، والجمع بين الحسنيين .

* العدد (٥٥) (جمادى الأولى ١٤٢٠هـ = أغسطس ١٩٩٩م).

تعميق التربية ضرورة *

من الغايات التي من أجلها بُعث رسول الله ﷺ : تزكية أنفس أمته . ولذلك فقد تربى المهاجرون والأنصار تربية عميقة ، فكانوا هم الدعائم والأسس لهذا الدين ، وجاهدوا في سبيل الله عز وجل ، وبذلوا أرواحهم ، ولم يكونوا ليفعلوا ذلك لولا تجذر التربية التي رباهم عليها رسول الله ﷺ .

وفي غزوة حنين حين شارك مع المهاجرين والأنصار ألفا مقاتل من مسلمة الفتح ، حدثت عدة قضايا منهم تؤكد أهمية عمق التربية ، فمن ذلك : أنهم حين رأوا تراجع المسلمين ، صاح بعضهم قائلاً : «ألا بطل السحر اليوم» وقال آخر : «لن يوقف هؤلاء إلا البحر» . وحينما مروا على سدرة لها أنواط كان المشركون يعلقون عليها أسلحتهم ، قالوا : يارسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال عليه الصلاة والسلام :«الله أكبر إنها السنن، لقد قلتم كما قال بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة» .

فهل تتخذ الجماعات الإسلامية درساً من هذا الحدث، فتهتم بتربية أفرادها ، وتعمق تربيتهم ، أم أنها تكتفي بمجرد التأطير كما هو

* العدد (٥٧) (رمضان ١٤٢٠هـ= ديسمبر ١٩٩٩م).

حاصل؟!.. هل ستعيد النظر في أولئك الذين يتكلمون باسم الإسلام ، ثم هم في تصريحاتهم وكتاباتهم يؤصّلون للمناهج والتيارات المنحرفة المناوئة للإسلام ؟!

إن خطر هؤلاء عظيم إذا لم نعد النظر في تربيتهم ، وإن الاكتفاء بمجرد التأطير مثله كالجمر تحت الرماد ، أو مثله كحاطب ليل ، فربما وضع الأفعى بين الحطب فلدغته وقضت عليه ! ألا فلنستفد من هذا الحدث دروساً وعبراً .

والله من وراء القصد .

الدعاء ملازم للعمل *

في غزوة بدر الكبرى وقف رسول الله – عليه الصلاة والسلام – طويلاً يدعو ربه ، رافعاً يديه ، حتى سقط الرداء من على عاتقه ، وكان من ضمن دعائه عليه الصلاة والسلام :«اللهمّ نصركَ الذي وعدت ، اللهم إن تَهلك هذه العصابة ، فلن تعبد بعد اليوم» أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

وهكذا كان دأبه عليه الصلاة والسلام ، في حال اشتداد المحن .

غير أن ذلك كان إلى جانب عمل الأسباب الشرعية : من إعداد العدة ، وإبرام الخطط العسكرية ، وقوة الإيمان بالله ، والتوكل عليه ، فكان للدعاء دوره الفعال ، إلى جانب العمل والجد والاجتهاد .

واليوم يمر المسلمون في محن عاصفة ، وحروب طاحنة ، وما من بلد إلا ويعاني فيه المسلمون من الظلم والاضطهاد ، ونسمع أحياناً دعاءً هنا وهناك ، بأصوات متحشرجة ، غير أن المسلمين في الجانب العملي مقصرون ! فلم يجدوا للدعاء تأثيراً ، فعقائدهم متناقضة ، ومناهجهم متناحرة ، وتوكلهم ضعيف ، وليس لهم إعداد يذكر !!

فأنَّى يجدون للدعاء نفعاً ما لم يعملوا بالأسباب ؟!

وفي الجانب الآخر ، نجد أحياناً فئة مستضعفة من المؤمنين ، عملوا بالأسباب ، وواجهوا الشر والبغي ، ورفعوا أكف الضراعة ، فتنزّل عليهم النصر ، و﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴾(البقرة : ٢٤٩) ، فكيف لو كان المسلمون جميعاً على هذا المنوال ؟

* العدد (٥٨) (ذو القعدة ١٤٢٠هـ = فبراير ٢٠٠٠م) .

المال والدعوة *

يخطئ البعض حين يفصل المال عن الدعوة ، أو حين يفكر في إقامة دعوة دون أن يبذل المال في سبيلها ! ولقد كان للمال دور هام في نشر الدعوات على مختلف مشاربها .

بل جعل الله عز وجل للمؤلفة قلوبهم من مصارف أموال الزكاة ، حتى يترسخ الإيمان في قلوبهم ، ولقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في الاستفادة من المال ، لنشر دين الله ، وتثبيت الناس عليه .

ففي غزوة حنين مثلاً – وهي من أعظم المعارك غنيمة – كان لرؤساء القبائل ، وأشراف مكة ، والمؤلفة قلوبهم ، أجزل العطايا من غنائم هذه المعركة ، بالرغم من أنه لم يكن لهم دور يذكر ، بل هم الذين انكشفوا وتراجعوا لما فاجأهم العدو وتركوا رسول الله ﷺ .

فها هو يعطي أبا سفيان أربعين أوقية ، ومائة من الإبل ، فقال : ابني يزيد؟ فأعطاه مثلها فقال :ابني معاوية ؟ فأعطاه مثلها . وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل ، ثم مائة ، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل ، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها ، وهكذا لأناس آخرين ، ثم أعطى خمسين وأربعين، حتى شاع في الناس أن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفقر !! فازدحم عليه الناس حتى قال ﷺ : «والذي نفسي بيده ، لو كان عندي شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ، ثم ما ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً» .

* العدد (٥٩) (محرم ١٤٢١هـ = إبريل ٢٠٠٠م) .

وإذا نظرنا إلى واقعنا وجدنا أطرافاً متناقضة ، فمنهم من ينفق ، لكنه بدون تخطيط وترشيد ، فيعبث بأموال الدعوة عبثاً ، ويفسد بها أكثر مما يصلح !! ومنهم من يقتر تقتيراً ، فيكون سبباً في تعثر مسيرة الدعوة ويفسح المجال للمتطلعين إلى المال ، ليفسدهم الصنف الأول .

والواجب التوسط ، والاعتدال والتخطيط ، وتقديم الأهم على المهم ، وصرف الأموال فيما فيه صالح الدعوة .

والله الموفق .

نقض العهود خلق اليهود *

حين استقر الرسول ﷺ بالمدينة المنورة ، إثر هجرته المباركة ، كان من أوائل ما قام به ، أن أنشأ وثيقة معاهدة ، تنظم العلاقة بين أطراف المجتمع المدني ، الذي كان حينها مكوناً من ثلاث فئات هم : المسلمون ، والمشركون ، واليهود ، نصت – فيما نصت عليه – على حفظ حقوق كل طرف على مستوى التعايش الداخلي ، وعلى حق المدينة في الدفاع المشترك ، في حال تعرضها لعدوان خارجي .

ولقد كانت الوثيقة من الإحكام ، بحيث تضمن للجميع العيش بسلام ، لكن اليهود الذين طبعوا على الخيانة والغدر ، ونقض العهود والمواثيق ، لم يلتفتوا إلى محتوى الوثيقة التي أقروها ، ولا إلى العهود التي تحويها ، وإنما شرعوا على الفور في تدبير المكائد ، وحياكة المؤامرات ، وتحيّن الفرص للإيقاع برسول الله ﷺ وأصحابه .

وكان من صور نقضهم لمحتوى الوثيقة : تعرضهم بالإيذاء الوقح لبعض المسلمات والتشبيب بهن ، وسفك الدم ، وتأليب العرب على رسول الله ﷺ ، والتحالف معهم ضده ، وعدم الالتزام بالدفاع عن المدينة ، ومحاولة قتل الرسول ﷺ ، والإقدام على دس السم له ، وهجاؤه بالشعر ، إلى غير ذلك من صور النكث والمحاربة التي ظهرت منهم ، وعلى مدى مجاورتهم للرسول ﷺ ، وهو ما استحقوا عليه الجزاء المناسب من الله ورسوله بعد

* العدد (٦٠) (ربيع أول ١٤٢١هـ = يونيو ٢٠٠٠م).

ذلك ، على نحو ما هو مفصل في كتب السيرة الشريفة .

ولم يكن ذلك بالشيء الجديد عليهم ، فهو ديدنهم على امتداد تاريخهم ، وما بقي على الأرض أحد منهم ، ولا أصدق في تصوير ذلك من قول الله سبحانه وتعالى عنهم : ﴿ أوَ كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ﴾ (البقرة : ١٠٠) .

ولم يكن ذلك - كذلك - قصراً على رسول الله ﷺ ، كونه من غير جنسهم ، ولكنه واقع بالأسلوب نفسه مع أنبيائهم الذين هم من جنسهم ، كما قال الله تعالى عنهم : ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ﴾ (البقرة : ٨٧) .

إنه - إذاً - الطبع اليهودي المتأصل فيهم ، القائم - ضمن ما هو قائم عليه - على نقض العهود ، وإخلاف الوعود ، والمحاربة لكل عمل محمود .

وإذا كان هذا هو حال اليهود على مدى تاريخهم الحديث والقديم ، كما يؤكد ذلك القرآن الكريم ، فإن الاقتراب منهم ، أو فتح الأبواب لهم ، أو موادعتهم ، أو إنشاء علاقات من أي نوع معهم ، إنما هو فتح لباب عظيم من الجرائم والشرور ، وعظائم الأمور ، وتمكين لهم من خيرات المسلمين ورقابهم ، وإفساد عقائدهم وأخلاقهم ، وكفى بكتاب الله الكريم شاهداً ودليلاً ، وبالسيرة الشريفة توضيحاً وتمثيلاً .

المعاصي سبب للهزيمة*

لقد جعل الله لهذا الكون سنناً لا تتبدل ، ولا تتغير : ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾ (الأحزاب : ٦٢) من تلك السنن : أن المعاصي والذنوب سبب للانهزام أمام الأعداء . ولقد لُقن المسلمون درساً في غزوة أحد بسبب مخالفة واحدة خالفوا فيها أمر رسولهم ﷺ ، وذلك حينما جعل خمسين من الرماة على ظهر الجبل ، وأمر ألا ينزلوا أبداً ، وحينما قربت المعركة من النهاية ، وفر جيش المشركين ، انخزل بضعة عشر رامياً من ظهر الجبل ، ونزلوا كي يشاركوا في جمع الغنائم ، مع أن أميرهم ذكّرهم بما أمر به رسولهم عليه الصلاة والسلام ، لكنهم خالفوا ذلك الأمر ، ظانين أن المعركة قد انتهت ، فقال أميرهم : اللهم إني أعتذر إليك مما فعل هؤلاء ! حينئذ نظر جيش المشركين - وكانوا بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه قبل إسلامه - إلى هذه الثغرة ، فالتف من وراء الجبل ، ثم وجه سهامه على المسلمين حتى قتل سبعين من الصحابة - رضي الله عنهم وأرضاهم - منهم جعفر بن عبد المطلب . بل كسرت رباعية رسول الله ﷺ ، وشج وجهه ، وسقط في الحفرة . في هذه اللحظة تعجب المسلمون كيف حصل هذا ! وكيف تحولت كفة المعركة ! فجاءهم الجواب من رب الأرباب سبحانه وتعالى :﴿ أولّما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنّى هذا قل هو من عند أنفسكم ﴾(آل عمران : ١٦٥) نعم إنه من عند أنفسهم ، لأنهم خالفوا أمر

* العدد(٦١) (جمادى الأولى ١٤٢١هـ = أغسطس ٢٠٠٠م) .

نبيهم ، فتركوا تلك الثغرة في الجبل ، ولقد قال الله تعالى لهم : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾(النور:٦٣) . ورحم الله الإمام مالكاً إذ أتاه رجل فقال : يا إمام ، من أين أحرم ؟ أي ألبي ، فقال : من حيث أحرم رسول الله ﷺ ، من ذي الحليفة . فقال : إني أريد أن أحرم من بيتي . فقال له الإمام : إني أخشى عليك الفتنة . فقال : وأي فتنة ؟ قال : إني سمعت الله يقول : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾(النور : ٦٣) .

والمسلمون اليوم يترقبون نصر الله يتنزل عليهم ، غير أنهم لم يعالجوا واقعهم أفراداً وجماعات ، شعوباً ودولاً ، فإذا كان قد حصل في أحد ما حصل بسبب ذنب واحد ، فواقعنا مليء بالمعاصي : فهذه بنوك الربا تحارب الله جهاراً نهاراً ، وهذا الإعلام فاسدٌ مفسد ، وحكم الله مقصيٌّ عن الحياة ، والقتل متفشٍ في بلاد المسلمين ، والزنا منتشر ... إلخ ذلك ، فهل بعد هذا كله يرجى تنزل النصر ؟!

﴿ إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾(الرعد : ١١) ، ﴿ ذلك بأن الله لم يكُ مغيّراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم ﴾ (الأنفال : ٥٣) . فاللهم ردَّ المسلمين إلى دينك رداً جميلاً يا أكرم الأكرمين .

القيادة الناجحة*

يختلف الناس في قدرتهم على قيادة البشر ، فمنهم من أعطاه الله من الصفات القيادية ما يجعله يدير شئون الناس بيسر وسهولة ، دون عناء أو تكلف ، وبمجرد ما يعطي توجيهاته تجد صدوراً رحبة لتقبل الأوامر ، بل سعادة غامرة في تنفيذ تلك الأوامر ، وعلى رأس هؤلاء القادة نبينا محمد ﷺ .

وإن من مظاهر نجاح قيادته عليه الصلاة والسلام ما نجده في سيرته العطرة، أنه يأتي إلى كل فرد من الباب الذي يؤثّر عليه ، وهذا يدل على أنه كان على بصيرة بصفات من حوله من الناس ، فتارة يثني على الفرد بكلمة تكون هذه الكلمة أحب إليه من الدنيا وما فيها ، وتعطيه شحنة من الإيمان تصيّره متفانياً في خدمة هذا الدين ، كما حصل ذلك في غزوة حنين مثلاً ، حينما قال سعد لرسول الله ﷺ : أعطيت عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس مائة مائة من الإبل ، وتركت جعيل بن سراقة . فقال عليه الصلاة والسلام : «أما والذي نفسي بيده ، لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض كلها مثل عيينة والأقرع ، ولكني أتألفهما ليسلما» .

وقال أيضاً :«إني أعطي قوماً أخاف هلعهم وجزعهم ، وأكِل قوماً إلى ما

* العدد (٦٢) (رجب ١٤٢١هـ= أكتوبر ٢٠٠٠م) .

جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى ، منهم عمرو بن تغلب» ، قال عمرو : فما أحب أن لي بكلمة رسول الله حمر النعم .

وفي غزوة الأحزاب أمر عليه الصلاة والسلام الزبير أن يتأكد من نقض اليهود للعهد ، فذهب الزبير ثم رجع ليخبر النبي ﷺ بنقضهم للعهد ، فكانت جائزة الزبير كلمة ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : إن لكل نبي حواري ، وحواريي الزبير . فهذه الكلمة الطيبة ـ ولا شك ـ تحدث في النفس ما تحدثه من الطمأنينة والثبات والمحبة .... إلخ .

وتارة يعطي المال ؛ لأن ذلك هو النافع لهذا الشخص ، كما قال صفوان بن أمية : مازال رسول الله ﷺ يعطيني من غنائم حنين ، وهو أبغض الخلق إليّ ، حتى ما خلق الله شيئاً أحب إلي منه .

فحري بقيادة العمل الإسلامي أن يتأسَّوا برسول الله ﷺ في مثل هذه المواقف ؛ ليكونوا هم السابقين في ميدان الدعوة ، وليقطعوا السبيل على دعاة التنصير والأحزاب الضالة ، الذين يجوبون الآفاق ، وبأيديهم المال والطعام والدواء ، ليخرجوا الناس من دينهم ، وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ (الأحزاب : ٢١) .

والله الموفق

الرزق في الجهاد *

إن الجهاد في سبيل الله عزّ وجل له منافع كثيرة ، فمنها : نشر الدين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتوسيع رقعة المسلمين ، وتكثير سوادهم ، وإرهاب الأعداء . ومنها : أنه سبب عظيم من أسباب الرزق . يقول الله عزّ وجل : ﴿ واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ﴾ (الأنفال : ٤١) ، ويقول : ﴿ فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً ﴾ (الأنفال : ٦٩) ويقول : ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾ (الحشر : ٧) . ويقول ﷺ : «بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعلت الذلة والصَّغار على من خالف أمري»(١) .

والناظر في سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، يرى ذلك واضحاً جلياً ، ويرى التطبيق العملي منذ أول معركة وقعت بين المسلمين والمشركين ، ففي غزوة بدر الكبرى ، قال النبي ﷺ لأصحابه الكرام حينما نمى إليه أن قافلة قريش قد قرب مرورها جوار المدينة ، قال : «اخرجوا فلعل الله أن ينفلكموها» أي يجعلها لكم نافلة ، يقول الله تعالى في ذلك : ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودّون أنّ غير ذات الشوكة تكون لكم ﴾ (الأنفال : ٧) .

---

* العدد (٦٣) (رمضان ١٤٢١هـ = ديسمبر ٢٠٠٠م).

١- رواه البخاري .

وحصل المسلمون كذلك على شيء من الغنائم في أحد ، وكذا ما بعدها من المعارك ، وكان النبي ﷺ بعد أن يخرج الخُمس من الغنائم يقسم ما بقي على المقاتلين ، فيعطي للفارس سهمين وللراجل سهماً واحداً .

ومن أعظم المعارك غنيمة غزوة حنين ، حيث كان يوزع الإبل بالمائة ، وهكذا.

ولما أُغلق باب الجهاد في سبيل الله ، انسد على المسلمين باب عظيم من أبواب الرزق ، وأصيب المسلمون بضوائق كثيرة ، وفقر شديد ، وهذا بسبب مخالفة أمر الله وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام ، حيث أمر بالجهاد. والأدهى من هذا أن أعداءنا استذلونا بسبب ذلك ، بل وأخذوا بعض ما في أيدينا من أراض وخيرات !

فإذا أراد المسلمون اليوم أن يستعيدوا مجدهم ، وأن ترد إليهم أراضيهم وخيراتهم التي جعلها الله لهم في أرضهم ، وأن يوسع لهم في أرزاقهم ، فعليهم بالجهاد في سبيل الله ، لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وإذا أرادوا كذلك أن ترفع عنهم الذلة والصغار ، فعليهم بالجهاد في سبيل الله ؛ لأن الجهاد عز ، وتركه ذل ومعصية وهوان !

نسأل الله تعالى أن يعلي علم الجهاد ، وأن يقمع أهل الشرك والإلحاد والفساد ، إنه سميع مجيب .

فقه التعامل مع النفوس *

إن التعامل مع الناس فن صعب ، لا يوفق إليه إلا موفق ، ومهما كتب الكتّاب حول علم النفس ، فلن يبلغوا معشار ما أوتيه رسولنا محمد ﷺ من فقه التعامل مع الأنفس البشرية ، كيف لا ومعلمه ربه سبحانه وتعالى خالق البشر أجمعين ؟!

وأنا لا أشك ولا أرتاب في أن كثيراً من المسائل التي يسطرها (علماء النفس) مستقاة من ديننا الحنيف ، ومستفادة من سيرة نبينا عليه الصلاة والسلام . ومن المعلوم أن قريشاً كانت في غاية الحقد على النبي ﷺ ، بل وقبائل الشرك كلها كانت كذلك ، وما هي إلا سنوات قليلة فإذا بهذه القبائل جمعاء تفدي رسول الله ﷺ بأنفسها ومالها ! فما السر في ذلك يا ترى ؟ لا شك أنه حسن التعامل مع هذه الأنفس البشرية .

فهذا عمرو بن العاص رضي الله عنه كان لا يرى وجهاً أبغض عنده من وجه رسول الله ﷺ ، فلما جاء النبي ﷺ يبايعه ، قال له عليه الصلاة والسلام : امدد يدك يا عمرو أبايعك. فمد عمرو يده ثم نزعها ، فقال له عليه الصلاة والسلام : مالك يا عمرو ؟ فقال : أشترط لنفسي يارسول الله. قال وماذاك؟ قال : أشترط أن يُغفر لي ذنبي ، فوالله ماكان دين أبغض إليَّ من دينك ، وإنه الآن أحب الأديان إلى قلبي ، وما كان وجه أبغض إليّ من

* العدد (٦٤) (ذو القعدة ١٤٢١هـ = فبراير ٢٠٠١م).

وجهك ، وهو الآن أحب الوجوه إليّ ، فقال له عليه الصلاة والسلام : أما علمت أن الإسلام يمحو ما قبله ؟ فمد يده فبايعه رسول الله ﷺ . قال عمرو : فما كنت أُحِدُّ النظر إلى وجه رسول الله ﷺ حياءً منه .

ومن حسن تعامله عليه الصلاة والسلام ، أنه كان يأتي لكل نفس من الوجه الذي تنقاد به ، ويجعلها خاضعة ومنقادة لهذا الدين ، فهذا يمدحه بالكلمة ، فتكون أحب إليه من حمر النَّعَم ، كما قال عليه الصلاة والسلام: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليَّ منه ، أكِله إلى إيمانه ، منهم عمرو بن تغلب» فيقول عمرو : والله ، ما أحب أن لي بهذه الكلمة حمر النعم . وآخر يعطيه من المال حتى تطمئن نفسه ، كما فعل مع صفوان بن أمية ، قال صفوان رضي الله عنه : مازال رسول الله ﷺ يعطيني ، وهو أبغض الناس إليَّ ، حتى صار أحب الناس إليَّ !

وذلك الرجل الذي أعطاه غنماً بين جبلين ، فذهب إلى قبيلته فقال : يا قوم أسلموا ، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر !

ويعيد إلى قبائل هوازن وثقيف ذراريهم يتألف قلوبهم ، ويحسن إلى تلك الجارية صاحبة المزادتين التي أخذ من مائها ، فيعطيها طعاماً ، فتتحدث بذلك إلى قومها ، فمازال حديثها يتردد على مسامع قومها ، حتى أسلموا .

فصلوات الله وسلامه على صاحب هذا القلب الرحيم ، والصدر الرحب ، والفقه الغزير . ونسأل الله تعالى أن يرزقنا حسن التأسي به ، إنه سميع مجيب .

نسيان الماضي *

تنوعت أساليب التربية التي سلكها رسول الله ﷺ مع أصحابه ، فمن تلك الأساليب : المدح ، وبذل المال ، ومنها أنه عليه الصلاة والسلام كان يتناسى ما وقع فيه بعض أصحابه من المخالفات لأوامره ، التي ربما تسببت بنكسات للمسلمين ، فما كان عليه الصلاة والسلام يبكت أولئك الأصحاب الذين وقعوا في تلك المخالفات ، فمن ذلك مثلاً : ذلك النفر الذين خالفوا أمره وأمر أميرهم يوم أحد ، حيث كلفهم عليه الصلاة والسلام بأن يبقوا على ظهر الجبل ، ليحموا ظهورالمسلمين ، وأمرهم ألا ينزلوا ولو تخطفتهم الطير ، وأمَّر عليهم أميراً ، وكانوا خمسين رامياً ، غير أن بضعة عشر رامياً لما رأوا أن المعركة انتهت لصالح المسلمين ، نزلوا ليجمعوا الغنائم مع المسلمين ، فذكّرهم أميرهم بما كلفهم به رسول الله ﷺ ، ومع هذا نزلوا ، مما أدى إلى التفاف جيش المشركين من وراء الجبل ، ثم صعدوا إلى الجبل ، وسددوا رميهم على المسلمين ، وقتلوا سبعين من خيار أصحاب رسول الله ﷺ ، بل تأثر رسول الله ﷺ فكسرت رباعيته وسقط في الحفرة ... إلخ .

ومن ذلك : ما حصل من التراجع يوم حنين ، ففروا جميعاً إلا عدداً يسيراً بقي مع رسول الله ﷺ .

* العدد (٦٥) (محرم ١٤٢٢هـ = إبريل ٢٠٠١م).

ومن ذلك : ما حصل في غزوة الطائف لـمّا أمرهم عليه الصلاة والسلام بالرحيل ، فقال بعضهم نرحل ولم نفتحها ؟ فلم يمانع ﷺ من البقاء ، ثم لما أثخن بعضهم بالجراح في الأيام التالية طلبوا منه عليه الصلاة والسلام الرحيل ، ومع هذا لم يقل لهم عليه الصلاة والسلام : قد قلت لكم ذلك لكنكم رفضتم .

فالملاحظ أنه ﷺ لم يعنّف هؤلاء جميعاً على ما فعلوا ، بل لم يجعل تلك المخالفات عاراً عليهم ، بحيث يذكرهم بها متى رآهم .

ولنا فيه ﷺ الأسوة الحسنة ، فلا ينبغي للمربِّين أن يجعلوا مخالفات المربَّيْن أسواطاً يلهبون بها ظهور من يربونهم ، بل عليهم أن يتغاضوا عنها ، وينشغلوا بالارتقاء بالشباب لما فيه خدمة هذا الدين .

والله من وراء القصد .

أثر العفو عند الداعية*

لقد مدح الله رسوله ﷺ بقوله : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾(القلم :٤) ، وأمره بقوله : ﴿ فاعف عنهم واصفح ﴾(المائدة : ١٣) وقال لعباده المؤمنين: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ (الأحزاب :٢١) .

إن الناظر في سيرته عليه الصلاة والسلام ، يجد نماذج وصوراً حية في العفو ، ليس مع المؤمنين فحسب ، بل مع أعدائه أعداء الدين أيضاً ، الذين أمر الله تعالى بمجالدتهم بالسيوف ، غير أن تلك الصور من العفو كان لها أثرها في أنفس أولئك ، وأدت ببعضهم إلى الإيمان بالله عزّ وجل ، وإليك بعض النماذج من عفوه عليه الصلاة والسلام ، ليكون لنا أسوة به ﷺ .

الحادثة الأولى:

حينما أُمسك ثمامة بن أثال ، وربط في سارية من سواري المسجد ثلاثة أيام ، وكان لا يزال على الشرك ، وكان النبي ﷺ يعرض عليه الإسلام كل يوم ، حتى قال له عليه الصلاة والسلام ، بعد أن رفض الإسلام ، قال : ماذا تظنني فاعلاً ؟ فقال ثمامة : يا محمد ، إن تقتلْ تقتل ذا دم ، وإن تعفُ تعفُ عن شاكر . فما كان منه عليه الصلاة والسلام إلا أن أمر بحل وثاقه ، فانطلق ثمامة دون أن يسلم ، غير أنه غاب مدة يسيرة عن ناظر النبي ﷺ ، غاب ليغتسل ، ثم عاد إلى نبي الرحمة ﷺ ليعلن إسلامه قائلاً : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ثم قال : يا رسول الله ، والله لن تذهب إلى قريش حبة حنطة إلا بإذن منك .

* العدد (٦٦) (ربيع أول ١٤٢٢هـ= يونيو ٢٠٠١م) .

الحادثة الثانية:

ذلك الأعرابي الذي جاء إلى رسول الله ﷺ وهو نائم وسيفه معلق في الشجرة ، فاخترط الأعرابي السيف ثم قال : يا محمد ، من يمنعك مني الآن ؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام : الله ! فسقط السيف من يد الأعرابي ، ثم أخذه النبي عليه الصلاة والسلام وقال للأعرابي : يا أعرابي ، من يمنعك مني الآن ؟ فقال الأعرابي : يا محمد ، كن خير آخذ . فقال له عليه الصلاة والسلام : أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ قال الأعرابي : لا ، ولكني أعاهدك ألا أقاتلك ، ولا أقاتل مع من قاتلك ، فتركه النبي ﷺ .

الحادثة الثالثة:

موقفه عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة ، وهو أنه عفا عن أهل مكة ، مع أنهم آذوه أشد الأذى ، بل إنه عليه الصلاة والسلام ماكان ينتصر لنفسه أبداً ، وما كان يغضب لنفسه قط ، إلا أن تنتهك حرمات الله .

فما أحوج الدعاة إلى الله وشباب الصحوة إلى أن يتصفوا بهذه الصفة الحميدة ، التي تكون عاقبتها توثُّق العلاقات ، وزيادة المحبة ، والتئام الصفوف ، وقوة المسلمين :﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظٍ عظيم ﴾ (فصلت : ٣٤ - ٣٥) .

والله من وراء القصد ، والحمد لله رب العالمين .

الاستفادة من الأعداء *

حين تناهى إلى سمع النبي ﷺ أن قريشاً قد أجلبت عليه - وعلى المسلمين معه - بخيلها ورَجِلها ، واستنفرت سائر القبائل من حولها ، وجمعت من الجُنْد ما يبلغ نحو ١٢ ألف مقاتل ، وأخذت تتهيأ للزحف بذلك الجيش اللجب - الذي لم يسبق أن جمعت قبله مثله - نحو المدينة المنورة ، حيث يقيم الرسول ﷺ وصحابته الكرام ، ممن أخرجوا من ديارهم وأموالهم من المهاجرين ، أو ممن آووا ونصروا من الأنصار ، في غزوة من الغزوات شهيرة ، عُرفت بعد ذلك بـ (غزوة الأحزاب) - حين تناهى إلى سمع النبي ذلك ، وقف عليه الصلاة والسلام ، في أطراف المدينة الحبيبة ، وسط حشد من أصحابه ، ينظر في مداخلها ، ويفكر في كيف يمكن أن يدفع شر هذا الجيش الغازي عنها وعن أهلها ، قبل أن يقترب منها ، أو يداهمها .

ونظر سلمان الفارسي إلى رسول الله ﷺ فعلم ما يريد ، فاتجه إليه بالحديث فقال : «يا رسول الله ، إنا كنا إذا أحاط بنا الأعداء خندقنا» أي حفرنا خندقاً ممتداً على طول المسافة التي يمكن أن يعبر منها الأعداء إلينا ، فحجز بيننا وبين أعدائنا .

---

* العدد (٦٧) (جمادى الأولى ١٤٢٢هـ = أغسطس ٢٠٠١م) .

وتمثل الرسول ﷺ المشهد في ذهنه ، فأعجبه ذلك ، ورأى فيه عوناً لعصبة المؤمنين ، الذين كان عددهم – يومها – لا يقاس بعدد المشركين القادمين .

إنها خطة عسكرية ، وتجربة حربية ، قادمة من بلاد فارس ، حيث كانت حتى ذلك الحين تخيم الوثنية ، وتُشعَلُ النيران التي يعبدها الناس من دون الله ، لكن التجربة في ذاتها مفيدة ونافعة ، وليس في ذلك – بأي حال – ما له صلة بوثنية أهلها ، أو ما يحمل معنى الإقرار لها ، لذلك بادر الرسول ﷺ للأخذ بها ، وأمر من فوره بحفر الخندق ، وكان في مقدمة الحافرين .

إنها نموذج واحد – من نماذج كثيرة في حياة الرسول – مما يمكن أن يستفاد من تجارب الأعداء ، أو خططهم ، أو مخترعاتهم ، في مختلف مجالات الحياة ، مما يقع ضمن مشاعات التجربة البشرية ، ويستصحب في حكمه البراءة الأصلية ، ومما يستوي في التوصل إليه المسلمون وغير المسلمين .

إن المعيار في قبول الشيء أو رده ، ليس في أن يكون من منجزات المسلمين أو غير المسلمين ، وإنما في كونه يوافق شرع الله أو لا يوافقه ، وهذا ما ينبغي أن يسير عليه المسلمون بعامة ، والدعاة بخاصة ، في تعاملهم مع مخترعات الأعداء ، أو خططهم ، أو تجاربهم ، أو نتاجاتهم ، في مختلف مجالات الحياة : العسكرية منها والمدنية .

والله الموفق .

آثار الذنوب *

إن الذنوب والمعاصي أخطر ما يهدد حياة الفرد والمجتمع ، ولهذا حذر الله تعالى من مخالفة أمر النبي ﷺ ، فقال سبحانه : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليم ﴾(النور : ٦٣) فالذنب يؤثر على رزق الإنسان كما قال عليه الصلاة والسلام : « وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » ، ويؤثر على طعامه كما ثبت في الحديث الصحيح : «لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم » ، أي لولا ذنوبهم لم يتعفن اللحم . ويؤثر على الأهل : «ولولا حواء لم تخن امرأة زوجها» .

بل إن الذنوب لتؤثر على الجمادات كما في الحديث : « إن الحجر الأسود كان أشد بياضاً من الثلج ، أو قال اللبن ، فسوّدته خطايا المشركين » .

وفي غزوة أُحد أمر النبي ﷺ خمسين من الرماة أن يبقوا على ظهر الجبل ، ليحموا ظهور المسلمين ، وأمرهم ألا ينزلوا من الجبل مهما حصل ! وأمَّر عليهم أميراً ، ودارت رحى الحرب ، ونصر الله المسلمين ، وفر جيش المشركين ، وولى الأدبار ، فانخزل بضعة عشر جندياً من الرماة الذين كلفوا بالبقاء على ظهر الجبل ، ونزلوا للمشاركة في جمع الغنائم مع بقية الجيش، لما رأوا المشركين قد ولّوا الأدبار ، فذكرهم أميرهم بتوجيهات النبي ﷺ ، وأنهم لا ينزلون أبداً ، غير أنهم لم ينصاعوا لأوامره ، فلما رأى المشركون

* العدد (٦٨) (رجب ١٤٢٢هـ = أكتوبر ٢٠٠١م) .

هذه الثغرة قد فتحت ، عادوا مرة أخرى ، والتفوا من وراء الجبل ، ثم صعدوا وسددوا رميهم على المسلمين ، على حين غفلة من المسلمين ، فقتل سبعون من خيار الصحابة ، وعلى رأسهم حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنهم أجمعين- بل تأثر النبي ﷺ من هذه المخالفة ، فكسرت رباعيته ، وشج وجهه، وسقط في الحفرة ، حتى صاح صائح المشركين ، اعلُ هبل ... إلخ .

شاهدُنا أن الصحابة - رضي الله عنهم - استغربوا كيف تحولت نتيجة المعركة من نصر إلى هزيمة ! وكيف حصل ذلك ! فنزل الجواب على هذه التساؤلات من عند الله ، فقال : ﴿ أولمَّا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنَّى هذا قل هو من عند أنفسكم ﴾(آل عمران : ١٦٥) ولما كان المسلمون كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ؛ فقد تأثر من جراء هذه المخالفة من لم يقع فيها ، فهذا ذنب واحد كانت نتيجته هذه الثمرة المرة ، فكيف بالمسلمين اليوم ، وهم غارقون بالذنوب والمعاصي، ويطلبون من الله النصر ؟ فأنَّى يتنزل النصر والأمة على هذه الحال ؟!

وصدق الله إذ يقول : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة ﴾(الأنفال : ٢٥) ، وإذ يقول : ﴿ إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم ﴾ (الرعد : ١١).

والله من وراء القصد .

المصارحة سبيل المصالحة *

كثيرة هي المشاكل التي تحدث في صفوف العاملين للإسلام ، ولا يمكن أن يوجد عمل خالٍ من المشاكل والصعاب والعقبات والمعوقات ، وليس من الحكمة في حال وجود شيء من ذلك أن يقوم البعض بالانخزال وتأسيس عمل جديد ، لأن هذا العمل الجديد لن يخلو من الأخطاء والمشاكل ، وإن تم تجاوز ما كان سبباً للانخزال ، ثم إن هذه المبررات الواهية تفتح على المسلمين باباً لا يمكن سدّه ، فكلما اختلف في قضية ما ، أو حدثت مشكلة ما ، انخزل البعض وأسس عملاً آخر ، وهكذا إلى ما لا نهاية له . وإن مما يدعو إلى الأسف الشديد أن يقول بهذا القول من ينتسب إلى الحركة الإسلامية . إن هذه النفسيات هي التي تسببت في انكسار شوكة أهل السنة وذهاب ريحهم ، وأفرحت الأعداء الشامتين ، ولكن يا ترى ما الحل عند وجود مشكلة ما ؟

إننا إذا عدنا إلى سيرة نبينا ﷺ فسنجد أن العمل ما خلا من المشاكل والصعاب ، لكننا ما وجدنا أن بعض الصحابة انخزل وشكّل جماعة

* العدد (٦٩) (رمضان ١٤٢٢هـ= ديسمبر ٢٠٠١م) .

مستقلة ، بل ولا اعتزل وعمل منفرداً ؛ وذلك لأن القيادة الحكيمة كانت تعالج تلك القضايا أولاً بأول ، بصدر رحب ، وقلب واسع ، وكان الأفراد يبادلون القيادة نفس الروح ؛ وذلك أنهم يشعرون جميعاً أنهم في خندق واحد ، يعملون بروح الفريق الواحد ، وكان الصحابة - رضي الله عنهم - من أكثر الناس عزوفاً عن حب الترؤس والظهور ، بل كانوا يتدافعون ذلك تدافعاً ، ومن استشرفت نفسه إلى شيء من ذلك رباه النبي ﷺ كما فعل مع أبي ذر رضي الله عنه لكن إذا عيّنت القيادة أمراً وحزمت وجزمت لم يكن من بد إلا الطاعة .

لقد ثبت في غزوة حنين أنه عليه الصلاة والسلام وزع الغنائم على مسلمة الفتح ، الذين كانوا سبباً في التراجع ولم يعطِ الأنصار شيئاً من ذلك ، فوجد الأنصار في أنفسهم من هذا العمل وقالوا : وجد رسول الله ﷺ أهله وعشيرته ، أعطاهم الغنائم وسيوفنا لا تزال تقطر من دمائهم - كناية عن قرب دخولهم في الإسلام وفتح مكة - فبلغت تلك المقالة إلى رسول الله ﷺ ، فاستدعى سعداً ، فسأله عن ذلك ، فأخبره أن الأنصار وجدت في نفسها من جراء قسمة الغنائم ، فقال له النبي ﷺ : « فأين أنت من ذلك يا سعد ؟» فقال سعد : ما أنا إلا من قومي ، فأمره عليه الصلاة والسلام أن يجمع له الأنصار ، فجمعهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : « يا معشر

الأنصار ، ما قالةٌ بلغتني عنكم ، وجدة وجدتموها عليَّ في أنفسكم ، ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ...» إلى أن قال : « ألا تجيبوني يا معشر الأنصار ؟ » فقالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ، لله ولرسوله المنّ والفضل . فقال عليه الصلاة والسلام : «والله ، لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدِّقتم : أتيتنا مكذباً فصدّقناك ، ومخذولاً فنصرناك ...» إلى أن قال : «ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ... اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار » .

فبكى الأنصار - رضي الله عنهم - وعرفوا الحكمة من فعل رسول الله ﷺ .

فما أحوج قيادة العمل الإسلامي إلى هذه الحكمة ! وما أحوج الأفراد إلى هذه الروح !

أسأل الله تعالى أن يجمع كلمة المسلمين ، وأن يرص صفوفهم ، إنه سميع مجيب .

أمتنا ودروس التميز *

كان الناس يعيشون قبل مبعث رسول الله ﷺ في دنس الشرك وأوحال الظلم والطغيان ، إلا من هدى الله سبحانه وتعالى ، فتلك فارس تعبد النار ، وروما تعبد الصليب ، وجزيرة العرب تعبد الأصنام والأوثان وهكذا ، وكان القوي يأكل الضعيف ، وكان الربا منتشراً بين الجميع ، فتغيرت أخلاق الناس ، وانقلبت رأساً على عقب . فنظر الله تعالى إلى أهل الأرض فمقتهم جميعاً ، عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب ، فاختار الله تعالى نبيه محمداً ﷺ ليكون منقذاً للبشرية جمعاء ، فلما جاء ﷺ لم يكن ليعيش كما عاش الناس ، بل جاء عليه الصلاة والسلام ليوجد أمة متميزة تميزاً تاماً عن الأمم الموجودة على ظهر الأرض ، فكان أول ما قال للناس : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ (الأعراف : ٥٩) وهكذا كان يراسل الملوك في حينه ، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وأمر بمخالفة اليهود والنصارى في كثير من الأمور السلوكية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية والتعبدية والعقائدية ، بل حتى في كثير من أمور العادة ، حتى قال اليهود : ما من أمر إلا ويريد محمد مخالفتنا فيه . وإليك بيان ذلك :

فمثلاً كان عليه الصلاة والسلام ، يصلي جهة بيت المقدس ، ثم حولت

* العدد (٧٠) (ذو القعدة ١٤٢٢هـ = يناير ٢٠٠٢م).

القبلة إلى مكة ، وكان يصوم يوم عاشوراء ، ثم قال : لئن عشت إلى قابل – أي إلى السنة المقبلة – لأصومن التاسع والعاشر . كان يَرْجِلُ شعر رأسه ثم ترك ذلك ، وفرق شعر رأسه على عادة العرب . أمر بعبادة الله وحده ، ونهى عن عبادة الأصنام ، حرم الزنا والربا ، أمر بالأمانة وحسن الخلق ، كما أمر بالولاء للمؤمنين والبراء من المشركين ، وبعد ذلك كان يراسل الملوك ويطلب منهم ، إما الدخول في الإسلام ، أو دفع الجزية عن يد وهم صاغرون ، أو القتال إذا رفضوا ذلك ، وهكذا أوجد عليه الصلاة والسلام أمة متميزة في عبادتها وعقيدتها في سلوكها وأخلاقها ...(إلخ) ولم يذب أو يوجد أمة تسلك في أمور حياتها كغيرها من الأمم ، لكن أمتنا اليوم تُدعى لتنحو منحى اليهود والنصارى باسم العولمة أو غيرها ، بالرغم من وجود قطاع عريض من أبناء هذه الأمة يحيون حياة أقرب ما تكون إلى حياة الغرب ، وهنالك من الأذناب والعملاء من يجر هذه الأمة لتقع في الفخ المنصوب لها .

إنّ أمتنا لا يمكن أن يعود لها عزها ومجدها ، ما لم تكن أمة متميزة عن سائر الأمم ، فترجع إلى كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ وتطبيقهما تطبيقاً واقعياً في جميع مجالات الحياة .

والله من وراء القصد .

رضينا برسول الله حظاً وقسماً *

لقد حرص النبي ﷺ كل الحرص على أن تكون تربية أصحابه تربية متكاملة ، بحيث يظهر التوازن في حياة الفرد ، فلا تفسد التصورات والمفاهيم ، غير أنه قد يظهر نوع من انحراف في بعض التصورات والمفاهيم، نتيجة النظرة السطحية في بعض القضايا ، لكن بعضهم يتضح له الأمر فيؤوب ويصحح مفاهيمه ، والبعض الآخر يصر على فهمه السقيم، فيورده موارد الردى .

في غزوة حنين غنم المسلمون غنائم كثيرة ، حيث وزع النبي ﷺ أكثرها على المؤلفة قلوبهم ، مما أوجد في أنفس - هي من الأنصار - شيئاً على رسول الله ﷺ حتى قالوا : وجد رسول الله ﷺ أهله وعشيرته . يعني : وزع أكثر الغنائم فيهم . فلما وضح لهم النبي ﷺ السر في قسمة تلك الغنائم على المؤلفة قلوبهم ، تبين لهم الأمر ، واتضحت لهم الحكمة ، حتى بدا عليهم الوجل والندم ، وبكوا حتى ابتلت لحاهم بدموعهم ، فقال لهم ﷺ : يا معشر الأنصار ، أما ترضون أن يرجع الناس بالشاة والبعير ، وترجعون برسول الله ﷺ ؟ قالوا : رضينا برسول الله حظاً وقسماً .

لكن ذا الخويصرة كان موقفه مغايراً تماماً ، فلقد جاء إلى النبي ﷺ متعالياً

* العدد (٧١) (محرم ١٤٢٣هـ = مارس ٢٠٠٢م).

مترفعاً منصّباً نفسه قاضياً وحاكماً ، فقال : يا محمد اعدل ، فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله .

ففرقٌ بين من يجد في نفسه شيئاً ، ثم يتبين له لأمر فيرجع ، وبين آخر فسدت مفاهيمه وانحرف فكره ، فجعل نفسه ميزاناً يقيس الناس به .

وفي زماننا هذا ظهرت مجموعة من الشباب يتسمون بالصلاح والتقوى مع الاعتدال ، وهذه ظاهرة طبيعية صحية ، لكن الخطورة تكمن في وجود آخرين انحرفت بعض تصوراتهم ومفاهيمهم ، جعلوا من أنفسهم قضاة ومفتين ، يصدرون الأحكام جزافاً ، يبدّعون ويضلّلون حسب أهوائهم ، ليس لهم ضابط يضبطهم .

فالواجب على العلماء والدعاة إلى الله ، معالجة مثل هذه الظاهرة تماماً كما فعل رسول الله ﷺ مع الأنصار ، فلعل الله تعالى أن يهدي هؤلاء الشباب الذين نحسبهم - والله حسيبهم - غيورين على دين الله .

والله من وراء القصد

المهام الصعبة وحسن الاختيار *

لقد اعتنى رسول الله ﷺ بتربية أصحابه عناية تامة ، وكانت تربيته تلك تأهيلاً لهم على تنفيذ المهمات الصعبة في الجهاد وغيره ، وكان إذا اختار شخصاً للقيام بمهمة ما ، فمعنى ذلك أنه صالح للقيام بها ، وسيؤديها على الوجه المطلوب الذي يؤتي ثماره لصالح هذا الدين ، وهذه الدعوة . ولقد ضرب الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم) أروع الأمثلة في ذلك ، وحكت لنا السيرة تلك المهمات التي قاموا بها ، فمن ذلك :

ماحدث يوم الخندق حينما جاء عمر رضي الله عنه بخبر مفاده أن اليهود قد نقضوا العهد ، وهذا الخبر لو انتشر بين الصحابة لكان له أثره السيئ ، غير أنه عليه الصلاة والسلام أمر بكتم الخبر ، وبعث بالزبير ليتأكد من الخبر ، فلما رجع الزبير وأكد ما أخبر به عمر أثنى عليه النبي عليه الصلاة والسلام قائلاً : «إن لكل نبي حواري وحواريي الزبير» ، ثم أرسل سعد بن عبادة وسعد بن معاذ لمزيد من التأكد ، وقال لهما : «ألحنا» يعني إذا عدتم بالخبر فلا تصرحوا بما حدث من اليهود حتى لايحدث الخبر في نفوس الصحابة شيئاً . فلما عادا قالا للنبي ﷺ : «عضلٌ والقارة» كناية عن غدر اليهود ونقضهم العهد ، وفي نفس المعركة طلب من الجيش أن يقوم منهم رجل ليذهب ويدخل في صفوف المشركين ، ويأتي بخبرهم ، وكان الجو بارداً

* العدد (٧٢) (ربيع الأول ١٤٢٣هـ = مايو ٢٠٠٢م) .

جداً ، فلم يقم أحد ، فاختار عليه الصلاة والسلام حذيفة بن اليمان فقام ، فطلب منه عليه الصلاة والسلام أن يأتي بخبرهم ، وألا يشعرهم ، قال حذيفة : فسرتُ فكأنما كنت أمشي في حمّام . أي من الدفء ، فتسلل ودخل في أوساط القوم ، قال حذيفة : فلقد كنت في مقربة من أبي سفيان ، ولقد هممت أن آخذ سهماً فأرميه ، قال فتذكرت وصية رسول الله ﷺ ، فأحس أبو سفيان بوجود خلل في المعسكر ، فقال لقومه : ليتأكد كل رجل من زميله . فانتبه حذيفة لهذا ، فبادر من كان بجواره بالكلام ، فقال من أنت ، قال فلان ، قال حذيفة : فقلت له اسكن .

هذا كله ينبئ عن ذكاء وفطنة حذيفة رضي الله عنه وحسن اختيار النبي ﷺ لمن يقوم بالمهمات الصعبة . والذي أريد أن أخلص إليه من هذا ، أن الحركة الإسلامية يجب عليها أن تعمق تربيتها للأفراد ، وأن تحسن اختيار الأشخاص الذين يقومون بالمهمات الصعبة ، التي لو لم تنجح لعاد الضرر على الدعوة برمتها ، كما يجب أن يجنب أصحاب النفسيات المتشنجة والقرارات المتعجلة من القيام بتلك المهمات ، خاصة وأن الحركة الإسلامية تعاني من هؤلاء معاناة شديدة ، فلقد فوّتوا بتشنجهم وتعجلهم واستبدادهم على الدعوة مصالح كثيرة ، ولو كان ثمة حسن الاختيار للأفراد لما حصل ما حصل .

والله الموفق .. والهادي إلى سواء السبيل .

عندما يتحكم المــزاج *

إن العمل لهذا الدين ، يتحتم أن يكون دؤوباً متواصلاً وجماعياً ، وذلك أن الفرد جهده محدود ، يوشك أن ينفد ، فمهما قام به من عمل وجهد ، لا يمكن أن يغطي حاجة هذا الدين ، ويكون بعمله ذلك «كالمنبت لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى» . ومن تتبع سيرة النبي ﷺ وصحابته الكرام ، يجد أنهم كانوا يعملون في الإطار الجماعي لا الفردي ، ولم يؤثر ـ فيما أعلم ـ أن شخصاً انعزل وحده يعمل لهذا الدين ، فهاهم في غزوة الخندق يتوجهون جماعياً لحفر الخندق ، ومعهم قائدهم وقدوتهم عليه الصلاة و السلام يحفر كما يحفرون ، ويلتصق التراب ببطنه الشريف عليه الصلاة والسلام ، بل ويقوم بالمهمات الصعبة ، فلما اعترض عليهم حجر في الخندق، نزل يكسره بنفسه عليه الصلاة والسلام ، وكانوا ينشدون :

لئن قعدنا والرسول يعملُ
فذاك منا العمل المضللُ
نحن الذين بايعوا محمداً
على الجهاد ما بقينا أبداً

وهكذا في جهاد الكفار ، وغير ذلك من الأعمال .

* العدد (٧٣) (جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ = أغسطس ٢٠٠٢م) .

لكننا وجدنا في أيامنا هذه أناساً انعدمت عنايتهم بالسيرة النبوية ، ركبهم المزاج ، فلم يقدروا على مواصلة العمل الجماعي ، ربما لأن ذلك يعكر أمزجتهم ، ويخالف أهواءهم ، فنادوا بأنفسهم إلى العمل الفردي أولاً ، ثم تكاثرت عليهم الأعمال ، وآل بهم الحال إلى ترك العمل .

وصنف آخر آثر أن يعيش في أبراج الزجاج ، ينظر للناس ويحسن النقد ، وترك العمل الميداني الذي يصحح له تنظيراته ويقوّمها . والمطلوب من القادة والمربين ، أن يعمقوا روح العمل الجماعي في الأفراد ، حتى يقطعوا الطريق على أولئك المزاجيين ، الذين لا يزيدون هذه الأمة إلا تمزيقاً ، ولا يربُّون إلا أناساً يمشون على شاكلتهم ، وأن ينزلوا إلى الميدان ، حتى يعود لهذه الأمة مجدها من جديد ، فتسود وتقود .

والله المستعان ، وعليه وحده التكلان .. إنه سميع مجيب .

كيف حال فلان ؟ *

لم يكن صرْح الإسلام لينبني لولا توفيق الله أولاً ، وحرص نبينا ﷺ ثانياً على تربية الرجال الذين كانوا أسَّ هذا الدين ، والمعنيين والمؤازرين للنبي ﷺ .

ولم يكن هؤلاء الرجال ليبلغوا تلك المرتبة لولا توفيق الله أولاً ، ثم عنايته ﷺ بهم ، وتفقد أحوالهم مابين الحين والآخر ثانياً . وبالرغم من كثرة مشاغله ، إلا أنه كان يقتطع شيئاً من وقته للعناية والمتابعة للرجال . فها هو ﷺ ما يمر عليه يوم إلا وزار أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، وها هو ﷺ يتتبع عمه أبا طالب ، يرجو هدايته ، وكان آخر موقف في حال احتضاره ، غير أن قرناء السوء كانوا حجر عثرة أمام إسلامه . وكان عنده غلام يهودي يخدمه، فكان يعرض عليه الإسلام ، ولما مرض الغلام زاره إلى بيته فعرض عليه الإسلام فأسلم ، فخرج النبي ﷺ فرحاً مسروراً قائلاً : « الحمد لله الذي أنقذه من النار» . بل ها هو يفتقد عجوزاً كانت تكنس المسجد ، فسأل عنها، فقيل له ماتت البارحة ، فدفناها . فقال : هلاَّ آذنتموني ، دلّوني على قبرها، فَدُلَّ عليه فذهب ، فصلى عليها .

* العدد (٧٤) (شعبان / رمضان ١٤٢٣هـ = أكتوبر / نوفمبر ٢٠٠٢م).

ولما مرض أحد أصحابه ، خرج حاسر الرأس لزيارته . ويأتيه جليبيب رضي الله عنه يريد أن يتزوج ، وليس عنده مال ، فيشفع له عند أهل بيت فيقبلونه، ثم يتعاون معه في عمل الوليمة ، وكذلك الصحابة رضي الله عنهم ، أعانوا جليبيباً حتى تزوج .

وكان ﷺ يقبل الدعوات من أصحابه ، أخذاً بخواطرهم .

هذه بعض مواقفه ﷺ في هذا الجانب ، وواقعنا اليوم يحتاج منا جميعاً إلى مراجعة وتعاون وتناصح ، إذ من الملاحظ ضعف الاهتمام بهذا الجانب المهم ، فالرجال هم السلاح الأقوى في مواجهة أعداء الله عزّ وجل ، وبدونهم لو كان عندنا من الأموال والسلاح وغير ذلك ما لا يحصى ، فلن يكون له أي أثر .

فعلى قادة العمل الدعوي ، تفقد أحوال أتباعهم ، والقيام بشؤونهم ، وحل مشاكلهم ، والرقي بهم إلى الأفضل ، حتى يكتب الله تعالى النصر والتمكين لهذا الدين .

والله من وراء القصد .

ديمقراطية قريش*

كانت دولة قريش دولة ديمقراطية ، تسمح بالتعددية ، وتفسح المجال للحريات ، وكان لديها برلمانها الخاص بها .

التعددية تظهر من خلال تلك الأصنام التي نصبت حول بيت الله الحرام ، والتي بلغ عددها نحو ثلاثمائة وستين صنماً ، كل مجموعة من الناس تعبد صنماً ، وكان ثمة أناس ترفّعوا عن عبادة الأصنام ؛ لأنهم رأوها لا تضر ولا تدفع عن نفسها الضر ، فضلاً عن ذلك أنها لا تجلب لغيرها النفع .

وكانت الحريات مكفولة للناس ، فينتقل أحدهم من صنم إلى صنم ، وتشرب الخمور بلا نكير ، ويزني الزاني بلا نكير ، بل لقد كانت المرأة تتخير أجمل الرجال وأشجعهم ليزني بها ، كي يكون ولدها شبيهه بالجمال والشجاعة ، وكان الربا منتشراً فيما بينهم ... إلخ .

تلك تشكيلة الدولة الديمقراطية ، وكان نبينا محمد ﷺ في ذلك الوقت يعيش بينهم ، مشهود له بالعفة والصدق والأمانة ، فكانوا يلقبونه (الصادق الأمين) . واحتكموا إليه في قضية وضع الحجر الأسود ، ولما أكرمه الله تعالى بالرسالة ، وجاءه قومه قال لهم : ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ (الأعراف : ٥٩) قالوا متعجبين معاندين : ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾(ص : ٥) .

* العدد (٧٥) (ذو القعدة / ذو الحجة ١٤٢٣هـ = يناير / فبراير ٢٠٠٣م).

ولما جمعهم ، وقال لهم : أرأيتم لو أخبرتكم أن وراء هذا الجبل جيشاً يريد مداهمتكم ، أكنتم مصدقيّ ؟

قالوا له : نعم . ما عرفنا منك كذبا قط . فلما قال لهم : إني رسول الله إليكم ، قال له عمه : تباً لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ وكذّبوه ، بل لما جاء يدعوهم إلى الله ، ما كان منهم إلا أن قالوا : « كذاب ، ساحر ، مجنون ، إنما يعلّمه بشر ... إلخ» . وآذوه وأتباعه أشد الأذى ، لا لشيء إلا لأنهم خالفوا ما عليه القوم من عبادة الأصنام . لقد أنزلوا بأتباعه ﷺ ألوان البلاء والعذاب ، ليصدوهم عن دينهم ، قتلوا من قتلوا ، وسجنوا من سجنوا ، ونفوا من نفوا ، بل لقد قرروا قتل النبي ﷺ بعد جلسة طارئة لبرلمانهم ، وحضر تلك الجلسة الهامة منظّر الحريات والديمقراطية ، إنه الشيطان الرجيم ، الذي استمع إلى المداولات ، وخطّأ القوم في قضية نفي النبي ﷺ وإبعاده عن مكة ، وكذلك سجنه ، وأوصى بقتله ، وذلك لما سلّمت دولة قريش زمام أمرها للشيطان الرجيم ، ووعدته بالسمع والطاعة ، وتنفيذ كل ما يمليه ، ولتكون دولة قريش جزءاً من دولته يهيمن عليها بنفسه ، ليشهد التاريخ عليها أنها دولة متناقضة وديكتاتورية وإرهابية بكل ما تعنيه هذه الكلمات من معانٍ .

والله من وراء القصد

النجاشي والاتفاقيات الأمنية *

بعد أن اشتد الأذى على أصحاب نبينا (عليه الصلاة والسلام) في مكة من قبل قريش أذن لهم النبي (عليه الصلاة والسلام) بالهجرة إلى أرض الحبشة ، وقال لهم :«إن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد» .

فوصل الصحابة إلى أرض الحبشة ، ومكثوا فيها مدة من الزمن ، ومكث النبي (عليه الصلاة والسلام) في مكة ، وكان عمه أبو طالب قد منع قومه من أن يمسوه بسوء ، فلما علمت قريش بمهجر الصحابة (رضي الله عنهم) وكانوا نحواً من ثمانين رجلاً ، منهم : ابن مسعود ، وجعفر ، وعبد الله بن عرفطة ، وعثمان بن مظعون ، وأبو موسى ـ بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية ، فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ، ثم قالا له : إن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا .

قال : فأين هم ؟ قالا : في أرضك ، فابعث إليهم .

فبعث إليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم ، فاتبعوه .

فسلم ولم يسجد ، فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟

* العدد (٧٦) (محرم / صفر ١٤١٤هـ = مارس / إبريل ٢٠٠٣م) .

فقال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل .

قال : وما ذاك ؟

قال : إن الله بعث إلينا رسولاً ، ثم أمرنا ألا نسجد لأحد إلا لله عز وجل، وأمرنا بالصلاة والزكاة.

قال عمرو : فإنهم يخالفونك في عيسى بن مريم .

قال : فما تقولون في عيسى بن مريم وأمه ؟

قال : نقول كما قال الله : هو كلمته ، وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر ، ولم يفرضها ولد .

قال : فرفع عوداً من الأرض ، ثم قال : يامعشر الحبشة والقسيسين والرهبان ! والله، ما يزيدون على الذي نقول فيه ما سوى هذا ، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله ، وأنه نجد في الإنجيل ، وأنه الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم ، انزلوا حيث شئتم . والله ، لولا ما أنا فيه من الملك ، لأتيته حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه وأوضئه ، فأمر للصحابة بطعام وكسوة .

وكانت قريش قد أرسلوا مع السفيرين بالهدايا (الرشاوى) للنجاشي ولبطارقته ، وطلبوا من البطارقة أن يشفعوا لهم عند الملك ، من أجل أن يرد عليه الصحابة ، فقالوا : إنما قدمنا على هذا الملك في سفهائنا أنهم فارقوا

أقوامهم في دينهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، فبعثنا قومهم ليردهم الملك ، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل ، فقالوا : نفعل .

غير أن النجاشي بعد أن سمع من الصحابة ، وبعد أن بكى وبكى أساقفته قال للصحابة : انطلقوا راشدين ، لا والله لا أردهم عليكم ، ولا أُنْعمكم عيناً .. وأمرَ برد هدية قريش .

هذه الحادثة تذكرنا بما يحدث اليوم من مطاردة للمسلمين وللدعاة إلى الله على وجه الخصوص ، وبتلك الاتفاقيات الأمنية بمطاردة ما يسمونه بالإرهابيين (المسلمين) وبتسليم المطلوبين ، وتذكرنا أيضاً بمنظمة (الإنتربول) الدولية المعنية بهذا الشأن .

لكن النجاشي ـ رحمه الله ـ كان عادلاً في حكمه ، رافضاً لتلك الاتفاقيات التي تحمل في طياتها الظلم والطغيان ، رافضاً للإملاء الأجنبي والتدخل في شئون بلده ، رافضاً بيع ضميره بهدايا وأموال تافهة .. فهل يكون النجاشي خيراً من أبناء جلدتنا ممن ينتسبون إلى ديننا وأمتنا ، ويرضخ لأعداء ديننا وأوطاننا ؟!

الجاهلية لا تعادي الصامتين *

حين يظهر الحق ، وينتشر بين الناس ، ويصبح مؤثراً ، ويكثر أتباعه وأنصاره ويظهر فيهم الصبر والتجلد من أجله ، ويقدمون التضحيات العظيمة في سبيله ـ يحنق أعداء الله أشد الحنق ، ويبذلون الغالي والنفيس ، كي يئدوا ذلك الحق ويقضوا عليه في مهده . فبينما كانت قريش ترى الحنيفيين في مكة يسيرون طريقاً غير طريقها ، فلا يشربون الخمر ، ولا يعبدون الصنم ، ولا ... ولا ... ؛ فلا تحنق من ذلك ، بل كانت ترى أن تلك حركة شخصية ، ولا يمكن أن يقسر الناس ويجبروا على السير في خطاهم حذو القذة بالقذة ، والسبب في ذلك يرجع إلى أنَّ الحنيفيين لم يكونوا يتعرضون للقوم ولا لجاهليتهم . نعم في نفوسهم اشمئزاز لما عليه القوم ؛ لأنه يصادم فطرهم ، لكنهم لا يتخذون إظهار المعارضة لهم سبيلاً . قد يحصل شيء من الجدال والمحاجة العقلية ، وقد يبدر منهم بعض المقالات وبعض الأشعار ، لكن ليس إلى درجة تسفيه الأحلام ، والدعوة إلى ذلك الطريق ، لكسب أنصار يوماً بعد يوم .

ولما بعث الله نبيه (عليه الصلاة والسلام) وبدأ يظهر عبادة ربه سبحانه وتعالى هو وأصحابه الكرام ، ما كانت قريش لتغار من هذا المنظر الذي يخالف ما هي عليه ، حتى لما رأى أبو طالب النبي (عليه الصلاة والسلام) وهو يصلي حوله في البيت الحرام ، قال له : ماهذا الذي تفعله يا ابن أخي ؟

* العدد (٧٧) (ربيع الأول / ربيع الآخر ١٤٢٤هـ = مايو / يونيو ٢٠٠٣م) .

فقال : أمرني ربي بعبادته ، فقال له : اعبد ربك . لكنه لما قال الله له : ﴿ قم فأنذر ﴾ (المدثر : ٢) ، ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (الشعراء : ٢١٤) ، ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ (الحجر : ٩٤) ، وبدأ يسفّه أحلام القوم ، ويعارض جاهليتهم ، ويحاججهم بالبراهين الساطعة ، وصار الإسلام يكسب كل يوم أنصاراً جدداً ـ بدأت الجاهلية تعمل لهم ألف حساب ، وغيّرت أساليبها وخططها في التعامل مع المسلمين الذين خالفوها في مناهجها ، وبدأت تضايق المنتسبين للإسلام ، وتنزل بهم من البلاء والعذاب. ولكن ، كلما اشتد البلاء والعذاب بالمسلمين ، صلب عودهم وزاد عددهم ، حتى أذن الله تعالى لهم بالهجرة الأولى إلى الحبشة ، ثم بعد ذلك إلى المدينة . وانتظر النبي (عليه الصلاة والسلام) وأبوبكر حتى أذن الله لنبيه بالهجرة ، حينئذ شددت قريش الحراسة على أبواب مكة علّها تظفر باعتقال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومن معه ، ولما لم تفلح رصدت الأموال العظيمة لمن جاء بمحمد ﷺ حياً أو ميتاً ، وتنافس في ذلك المتنافسون ، فانطلقوا مشرّقين ومغرّبين ، بحثاً عن نبينا عليه الصلاة والسلام .. وقصة سراقة بن مالك في ذلك مشهورة .

واليوم تفعل الجاهلية المعاصرة نفس الطريقة في مطاردة المصلحين ، الذين يناهضون الجاهلية ويسفهون أحلامها ، فقد أنشأت تحالفاً عالمياً تحت مسمى محاربة الإرهاب ، يعنى بمطاردة كل من خالف أعرافها ، فذلك أشبه بمحاصرة قريش لأبواب مكة ، وترصد الملايين لمن يأتي بفلان أوفلان أو يدل عليه . فسبحان الله ! ما أشبه الليلة بالبارحة . لكن ، مهما كان الأمر ، فهذا ينبئ عن قرب فجر الإسلام من جديد ، وزوال الجاهلية بإذن الله .

والله الموفق

فلنحمل الفكر بحق وصدق *

إن قيام أي دعوة أو دولة ، لابد لها من أسس تُنتقى ، وقواعد تُصطفى ، حتى تحمل الهم الأكبر والجهد الأعظم في البناء ، ولابد حينئذ من العمل الدؤوب المتواصل .

ولقد جاء نبينا (عليه الصلاة والسلام) يحمل هماً وفكراً ليس قطرياً ، بل عالمياً : ﴿ وما أرسلنك إلا رحمة للعالمين ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) ، فمحمد (عليه الصلاة والسلام) لإيجاد أفراد معاونين ناصحين ، فاصطفاهم ، وربّاهم تربية خاصة ، فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عمه ، وزيد بن حارثة رضي الله عنه مولاه وحبه ، وأبو بكر صاحبه الملازم له ، وغيرهم الذين أسلم بإسلامهم خلق كثير ؛ لأنهم حملوا الهم والفكر ، فبذلوا أقصى ما يمكن ؛ لتحقيق الهدف والغاية ، إنها الغاية العظمى «تعبيد الناس ، وإقامة شريعة الله» من خلال الإيمان بالله ، والعمل الصالح ، ومحاربة الإشراك بالله تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ (النور : ٥٥) ، فأي فكرة ، لابد لها من حملة وأنصار ، ما لم فستضمحل وتتلاشى وتنقرض .

* العدد (٧٨) (رجب ١٤٢٤هـ = سبتمبر ٢٠٠٣م) .

لقد استطاع اليهود ، وغيرهم ، إقامة دُول ؛ لأنهم حملوا الفكرة بصدق، وعملوا لها بحق ، وأنفقوا الغالي والنفيس ، وإن كانت لها عمر محدود ، كما حصل للشيوعية ، لكن الشاهد هو تحقيق تلك الفكرة ، من خلال العمل الدؤوب والتضحيات .

لقد استطاع (عليه الصلاة والسلام) خلال ثلاثة وعشرين عاماً ، من إقامة دولة الإسلام ، التي صارت مهابة لدى الشرق والغرب ، فكاد لها أعداؤها عبر القرون حتى هدّمت الخلافة الإسلامية ، ولا يزالون خائفين من عودتها مرة أخرى .

إننا بحاجة ماسّة إلى من يحمل الفكرة بحق وصدق ، ويربي الأعوان والأنصار الصادقين ، الذين يسعون جادين لتحقيق الهدف ، وفق خطط مدروسة ، وسيكتب الله تعالى النصر بإذنه : ﴿ ولينصرنّ الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ (الحج :٤٠) .

إننا بحاجة إلى تكوين القيادات الفاعلة ، كأبي بكر ، وعمر ، وعلي ، وعثمان ، وخالد ، وجعفر ، وحمزة ، وأسامة بن زيد ، بحاجة إلى أن تتكامل الجماعات الإسلامية وتترك التآكل ، حتى تؤتي أكلها بإذن ربها ؛ لأن تآكلها وتنافرها يعطل منجزاتها ، ويؤخر نتائجها .

بحاجة إلى فقه الاختلاف الذي يحوّل اختلافاتنا إلى ثروة علمية وعملية .

لنوجّه الهمّ في هذه المرحلة إلى التربية الجادة المتكاملة ، التي ستخرج لنا الجيل المنشود ، والذي سيحمل هم إقامة الدين بإذن الله تعالى .

أسأل الله تعالى أن يوفق القائمين على الحركات الدعوية لذلك ، إنه سميع مجيب .

المواجهة في زمن الضعف والاستضعاف *

إن المتمعن في دراسة السيرة النبوية ، يوقن بضرورة التفريق بين مرحلة القوة ، ومرحلة الضعف أو الاستضعاف ، فمرحلة الاستضعاف مرحلة كف الأيدي عن الأعداء ، والصبر على أذاهم ، وتحرشاتهم ، وتفويت الفرصة عليهم ، ومهادنتهم ، وتقليل العدوان ما استطاع المسلمون إلى ذلك سبيلا ، والتوجه نحو البناء الإيماني العقدي والأخلاقي . هكذا تماما كانت المرحلة المكية ، والأحكام تدور مع عللها وجودا وعدما .

لقد كان المشركون ينزلون بالمسلمين أشد البلاء ، فيأتون إلى النبي ﷺ يقولون له : ألا تدعو لنا ؟ ألا تستنصر لنا ؟ يقول لهم ﷺ : «اصبروا ، لقد كان من قبلكم تحفر له الحفرة ، فيدفن إلى حقوه ، ثم ينشر بالمنشار من مفرق رأسه ، فيصير فلقتين لا يصده عن دينه شيء ، وكان الرجل يمشط بالحديد ما دون لحمه وعظمه ، لا يصده عن دينه شيء» .

ويأتونه مرة ، فيقولون له : ائذن لنا بالقتال ، فيقول ﷺ : «لم يؤذن لي بعد» .

* العدد (٨٠) (رمضان / شوال ١٤٢٤هـ= نوفمبر / ديسمبر ٢٠٠٣م).

ويمر بعمار وآله وهم يعذبون فلا يجد إلا أن يصبِّرهم . ويأتي الأنصار إلى النبي ﷺ في موسم الحج ، فيقولون له : لو شئت أغرنا على قريش وهم في منى في خيامهم . فينهاهم ﷺ عن ذلك ، والحوادث في هذا كثيرة . لكن ، لما أذن الله تعالى للمسلمين بالجهاد في سبيله في الفترة المدنية ، اختلف الحال ، فصار المسلمون ـ خاصة بعد الخندق ـ يغيرون على الأعداء في عقر دارهم ، ويباغتونهم قبل أن يتحركوا تجاه المسلمين ، فنصر الله الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين .

إن الخلط بين أحكام المرحلتين في الآونة المتأخرة ، سبَّب للمسلمين كثيرا من الحرج ، وذلك بسبب الجهل ، أو فهم الأحكام مجتزأة ، وعدم الترجيح بين المصالح والمفاسد ، أو التعجل وعدم الانضباط ، والاعتداد بالنفس ، وعدم الرجوع إلى أهل العلم ، بل الطعن بهم ، وإساءة الظن بفتاواهم ... إلخ .

أما الجهل فواضح جدا ، إذ إن كل من سمع شريطا ، أو شاهد آخرُ أو قرأ كتيبا ، ظن أنه صار عالما ، وفرق بين العلم وحسن المقصد . وأما فهم الأحكام مجتزأة ، فالمقصود منه إعمال بعض الأدلة وإهمال البقية . وأما الترجيح بين المصالح والمفاسد ، فتكون عن قصور نظر ، ولا يحصل التشاور مع أهل العلم الذين يستطيعون أن يقدروا بين ذلك . وأما التعجل فغير خاف على أحد ، وهو ذلك الداء الذي حذر منه النبي ﷺ : « ... ولكنكم قوم تستعجلون » . وأما عدم الانضباط ، فكل واحد يعمل عملا من رأسه ، من

غير أي دراسة . وأما الاعتداد بالنفس ، فكل واحد من هؤلاء يعتبر نفسه عالما ، فلا يرجع إلى أحد ، ولا يتقبل النقاش ، ويعد نقده طعنا وخذلانا للدين .

فنصيحتي للجميع بأن يراجعوا هذه المفاهيم والضوابط والمعايير ، فكفانا جراحات ، ولنبدأ بإصلاح أنفسنا :﴿ إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم ﴾(الرعد : ١١) .

والله الموفق

﴿ فلا وربك لا يؤمنون... ﴾ *

إن مرجعية التحاكم في الإسلام ، في أي قضية يختصم فيها مسلمان فأكثر ، مردها إلى الله –عز وجل– وإلى رسوله ﷺ . والرد إلى غير ذلك نفاق ، نطق بذلك الكتاب العزيز ، كتاب ربنا الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾(فصلت : ٤٢) .

يقول المولى جل وعز :﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾(النساء : ٥٩) ويقول : ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾ (الشورى : ١٠) .

وربنا تعالى لم يفرط في كتابه من شيء ، قال تعالى: ﴿ ما فرّطنا في الكتاب من شيء ﴾ (الأنفال : ٣٨) ، ﴿ وما كان ربك نسيّا ﴾ (مريم : ٦٤) .

والمصدر الثالث ، من مصادر التشريع ، ما أجمعت عليه الأمة بعد وفاة رسول الله ﷺ حيث استجدت قضايا أعملوا فيها الضوابط والأصول ، والقواعد العامة المستنبطة من الكتاب والسنة ، وهكذا يكون العمل في أشباه تلك القضايا في زماننا المعاصر . والفصل في هذه القضايا إنما يكون لأهل الاجتهاد من العلماء ، وأهل الحل والعقد .

لكن أعداءنا لا يرضيهم أن تكون هذه مرجعيتنا ، بل يريدون منا أن

* العدد (٨١) (ذو القعدة ١٤٢٤هـ= يناير ٢٠٠٤م).

نسلك مسلكهم ، ونتبع ملتهم ، ونتحاكم إلى قوانينهم الوضعية ، أو نضع لأنفسنا قوانين تتصادم مع القرآن والسنة وإجماع الأمة ، قال تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ (البقرة : ١٢٠) ، وقال : ﴿ ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾ (النساء : ٨٩) وهكذا عملاء الغرب والمنافقون لا يريدون للأمة أن تتحاكم إلى المصادر آنفة الذكر ؛ لأنهم يريدون إرضاء أسيادهم من جهة ، ثم هم يخافون على مصالحهم وشهواتهم من جهة أخرى ؛ لأنهم ما من مخالفة للشرع إلا وارتكبوها ، لذلك فهم ينادون ليلاً ونهاراً بفصل الدين عن الدولة ، ويسعون جاهدين لإحلال القوانين الوضعية ؛ لتحل محل الشريعة الإسلامية ، ويشوهون الشريعة وأهلها ، ويتهمونها بأنها وحشية ورجعية ، ولا تصلح لهذه الأزمان... (إلخ) تلك التهم .

ومع هذا يزعمون أنهم مسلمون ، يقول الله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً . وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً . فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً . أولئك الذين يعلم الله مافي قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ﴾(النساء: ٦٠ - ٦٣) .

ويقول : ﴿ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون . وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين . أفي قلوبهم مرض أم

ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون . إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ (النور : ٤٨ - ٥١) .

لقد اختصم رجل من الأنصار والزبير بن العوام إلى رسول الله ﷺ في أرض في الحرة ، كان كل منهما يسقي أرضه من شراج (ماء) فيها ، فقال الأنصاري للزبير : سرّح الماء يمر . فأبى الزبير ، فقال النبي ﷺ : «اسق يا زبير ، ثم أرسل إلى جارك» . فغضب الأنصاري ، وقال : يا رسول الله ، أن كان ابن عمتك ؟ فتلوّن وجه رسول الله ﷺ ثم قال : « اسق يا زبير ، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر» ، واستوعى رسول الله ﷺ للزبير حقه ، وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك أشار على الزبير برأي أراد فيه السعة له وللأنصاري ، فلما أحفظ الأنصاري رسول الله ﷺ استوعى للزبير حقه في صرف الحكم ، فقال الزبير : ما أحسب هذه الآية إلا في ذلك : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً ﴾(النساء : ٦٥) والحديث رواه أحمد والجماعة وله طرق .

فجعل الله من علامات الإيمان :

١ - التحاكم إلى الله والرسول في كل قضية ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ﴾ .

٢ - انتفاء الحرج من النفس حتى لو كان الحكم ضدها : ﴿ ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ﴾ .

٣ - ا لتسليم للحكم : ﴿ ويسلّموا تسليماً ﴾ .

بل يقول الله جل وعز : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخِيَرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾(الأحزاب : ٣٦) .

فهل يعقل المقنّون هذه القضية ، وهل ينزجر المنافقون بهذه الآيات والمواعظ ؟

أسأل الله أن يرد المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً ، وأن يحكّم فيهم شرعه ، ويبرم لهذه الأمة أمر رشد ، يعز فيه أهل الطاعة ، ويذل أهل المعصية ، ويؤمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، إنه سميع مجيب .

والله الموفق

هكذا أحب الصحابة قيادتهم *

إن للقيادة أهمية عظيمة ، إذ يجتمع الناس حولها ، فيردون ويصدرون عن قرارها . وبالقيادة تقوم الدول ، وبها تشن الحروب ضد الأعداء ، وبها تعقد معاهدات السلام ...إلخ .

بغير القيادة تصبح الأمور فوضى مضطربة ، ولهذا قال الشاعر :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * * ولا سراة إذا جهّالهم سادوا

إن القيادات ، منها الحكيمة العادلة ، المقدمة مصلحة دينها وشعبها على المصالح الشخصية ، ومنها الظالمة الجائرة ، التي همها منصبها وأطماعها ومصالحها الشخصية .

ولقد سجل التاريخ سير القادة ، عادلهم وظالمهم ، وما آلوا إليه في نهاية حياتهم . وكان أروع مثال سجله التاريخ ، هونبينا محمد ﷺ الذي كان أكبر همه نشر دين الله تعالى ، ونشر العدل بين الناس ، وإعطاء المظلوم حقه من الظالم ؛ لذلك فداه الصحابة بآبائهم وأمهاتهم ، بل بأنفسهم . فهاهو عليه الصلاة والسلام في غزوة أحد يحميه الصحابة - ذكوراً وإناثاً - بأنفسهم من ضربات السيوف ، ويُقتلون دونه ؛ ليبقى هو حياً - عليه الصلاة والسلام .

* العدد (٨٢) (ذو الحجة ١٤٢٤هـ / محرم ١٤٢٥هـ = فبراير / مارس ٢٠٠٤م).

وها هو ذا ﷺ في غزوة حنين ، بعد أن انكشف الناس من حوله ، ولم يبق معه سوى نفر قليل ، منهم : العباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ؛ ومن المسلمين الأولين : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وأبو دجانة ؛ ومن الشباب : أيمن بن عبيد الخزرجي ، وأسامة بن زيد ؛ ومن النساء : أم سليم بنت ملحان – وهي حامل بولدها عبد الله بن أبي طلحة – وأم عمارة بنت كعب ، وأم سليط ، وأم الحارث – يأمر النبي ﷺ عمه العباس بدعوة أصحابه ، فنادى : أين أصحاب السمرة ؟ يا معشر الأنصار ، يا أهل بيعة الرضوان ؛ فإذا بهم يتجهون صوب النبي ﷺ قائلين : يا لبيك يا لبيك . فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر عليه ، فيأخذ درعه وسيفه وترسه ، ويقتحم عن بعيره ، ويخلي سبيله ، فيؤم الصوت ، حتى إذا اجتمعوا نحو مائة ، استقبلوا الناس واقتتلوا ، وتلاحقت كتائب المسلمين واحدة تلو الأخرى ، كما كانوا تركوا الموقعة ، ثم تقاتل المسلمون مع الكفار قتالاً شديداً ، ونظر النبي ﷺ إلى ساحة القتال وقد استحرّ واحتدم ، فقال : «الآن حمي الوطيس» ثم أخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب الأرض ، فرمى بها في وجوه القوم ، وقال : شاهت الوجوه ، فما خلق الله إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً من تلك القبضة ، فلم يزل حدّهم كليلاً وأمرهم مدبراً . هكذا كان التراجع والدفاع عنه ﷺ ولم يتركوه ، ولم يسلّموه للأعداء ، ويخلصوا بأرواحهم ؛ وذلك لأن حب الصحابة للنبي ﷺ كان نابعاً من

القلوب ، ولم يكن نابعاً من أطماع دنيوية ، ولا من إرهاب وديكتاتورية .

فهل تعقل تلك الزعامات – التي تصفق لها الشعوب ، ويهتف الجند بحياتها رغباً ورهباً – هذا السر ؟

إن هذه الزعامات تجعل كل فرد يتجسس على صاحبه ، فنصف الجند ، ونصف الشعب – إن لم أقل كله – جواسيس لصالح النظام ، لكنهم جميعاً سرعان ما ينقلبون عليه ، وسرعان ما يسلمون تلك القيادات للأعداء ، وسرعان ما يسلمون الأوطان للأعداء . وترى بعد ذلك الشعوب والجيوش ترقص في الشوراع طرباً وفرحاً بسقوط القيادة وانهيار النظام ، وتراهم يدوسون صور القيادة ورموزها بأقدامهم ، وما ذلك إلا لظلم وجبروت وطغيان تلك القيادات ، وانكفائها حول نفسها ومن معها ، وعدم تلمّس حاجات الشعوب .

والله من وراء القصد .

«الآن نغزوهم ولا يغزوننا» *

حين اعتزل النبي ﷺ قومه يتعبد لله في غار حراء الليالي ذوات العدد ، لم يكن ذلك ملفتاً لأنظار القوم ، ولما أوحي إليه ، وكان يتعبد لله ويراه القوم ، ما كان ذلك مغضباً لهم . ولما كان له أتباع قليلون تركهم الملأ وشأنهم ، كما لم يتعرضوا للحنيفيين الذين سلكوا طريقاً غير طريق قريش . ولما أراد النبي ﷺ من قومه أن يغيّروا من طريقتهم ، ويتّبعوا ما جاء به ، استضعفته قريش ومن معه ، واستذلتهم ، وأنزلت بأتباعه ألوان العذاب ، وحمى الله نبيه من ذلك ، بسبب حماية عمه أبي طالب له .
وكان يمر على أتباعه وهم يعذبون ، ولا يملك لهم شيئاً إلا أن يصبّرهم ، فمات من مات منهم جراء العذاب ، وصبر البقية ، ولم يرتدّ أحد منهم .
ويتكاثر أتباعه ﷺ فيطلبون منه أن يأذن لهم بالجهاد ، ولكنه لم يأذن لهم ، بوحي من الله تعالى . ويأتي وفد من مسلمي المدينة ويقولون للنبي ﷺ : لو شئت لأغرنا على قريش إغارة رجل واحد . فقال ﷺ : «لم يؤذن لي بعد» حتى هاجر الصحابة إلى الحبشة من شدة البلاء والعذاب . وطيلة هذه الفترة والصحابة في ذل وهوان واستضعاف ، والعدو في حال غطرسة واستعلاء واستكبار . ويهاجر الصحابة إلى المدينة ، ويلحق بهم النبي ﷺ

* العدد (٨٣ / ٨٤) (صفر / ربيع الأول ١٤٢٥هـ = إبريل / مايو ٢٠٠٤م).

فيخرجون من أحبّ البقاع إلى أنفسهم ، ولا يزالون كذلك مستضعفين من قبل أعدائهم حتى أذن الله لهم بالجهاد في سبيله ، حين أذن تلقى الأعداء الصفعة تلو الأخرى ، ابتداءً من غزوة بدر . ويحاول العدو أن يحشد قواته في أحد ، ويتحزب الأحزاب في غزوة الأحزاب (الخندق) ويرجعون ذليلين كسيرين خائبين ، ويعلنها النبي ﷺ مدوية بنقل المعركة إلى عقر دار الأعداء ، ويضرّ بهم قبل أن يتحركوا صوب المدينة ، فيقول : «الآن نغزوهم ولا يغزوننا» .

وبالفعل ، لم يصل الأعداء بعد ذلك إلى المدينة ، وقذف الله الرعب في قلوب الأعداء ، وأخزاهم وأذلهم ، وجعلهم يرضخون ويستسلمون ، وينقادون للمسلمين ، ويعز الله دينه وجنده المسلمين .

وهكذا توالت الفتوحات بعد ذلك ، حتى وصل المسلمون إلى الهند وإلى روسيا وإلى أوربا ....إلخ .

فهل يسلك قادة العالم الإسلامي سبيل رسول الله ﷺ ؟ وهل يعون سر العز والتمكين ؟

إنهم لا ينقصهم عدد ولا عدة ، لكن ينقصهم حسن استخدام لذلك .

والله من وراء القصد .

فلننقذ أمتنا بدلاً من شركاتهم !! *

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه ومن والاه ، وبعد :

فإن دول الغرب بزعامة أمريكا تمارس مع المسلمين وغيرهم سياسة الحصار الاقتصادي كسلاح فتّاك ؛ لجعل الدول الإسلامية بالذات خاضعة لها ولسياستها ، وملبية لمطالبها ، في الوقت الذي نجد فيه دولنا الإسلامية تتسارع وتتسابق لإرضاء أمريكا ، بل للعمل على دعم اقتصادها حتى لا ينهار ! فبعض الدول تشتري أسلحة وتكدّسها في المخازن وليست بحاجة إلى هذه الأسلحة ، بل أسلحة قديمة عفى عليها الزمن لم تشترها تلك الدول إلاّ لإنقاذ الشركة الفلانية من الإفلاس ، وأخرى تغير أسطولها الجوي التجاري ، لا لعدم صلاحية الأسطول القديم ، ولكن لإنقاذ شركة (بوينج) من الإفلاس ، وذاك يشتري البنك الفلاني الموشك على إعلان الإفلاس ، لا لشيء إلاّ لإنقاذه من ذلك ...إلخ .

ومنذ عقود من الزمان ، لم نسمع لقرار من الدول الإسلامية مجتمعة ولا متفرقة ، يعلنون فرض الحصار الاقتصادي على هذه الدول المعادية ، بحظر بيع النفط وسائر الخامات عليها ، حتى ترضخ وتستسلم لمطالب المسلمين ، ومن ذلك : تخليّها من دعم الدولة الإرهابية الصهيونية المغتصبة لأرض

* العدد (٨٥) (ربيع الآخر ١٤٢٥هـ = يونيو ٢٠٠٤م).

فلسطين ، وعدم اعتدائها على بلاد المسلمين ، أو إظهار العداوة ضد الإسلام والمسلمين ، ومن ذلك أيضاً خطر استيراد المواد من تلك البلدان .

إن هذه السياسة مارستها قريش مع المسلمين في مكة ، فقد حوصروا حصاراً شديداً في شعب أبي طالب ، ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ، وتحديداً في غزوة الخندق ، طلب النبي ﷺ من قبائل غطفان أن ترجع وتنقض تحالفها مع قريش ، مقابل أن يعطيهم النبي ﷺ ثلث ثمر المدينة ، ولما قام النبي ﷺ وسعد بن عبادة بإخبار سعد بن معاذ بالأمر ، قال سعد بن معاذ : والله ، يا رسول الله ، ما كنا لنعطيهم ذلك ونحن على الكفر أفنعطيهم ونحن على الإسلام ؟!

ولما قام سعد بأداء العمرة واعترض سبيله أبو جهل ، وكاد أن يمنعه من الطواف بالبيت ، خرج سعد بن معاذ في وجهه ، وقال له بعزة : والله ، لو منعتني لما سارت لك قافلة إلى الشام ، وكانت طريقهم تمرّ بالغرب من المدينة المنورة . ولما أسلم ثمامة بن أثال رضي الله عنه قال : والله لا ترسل إلى قريش حبة حنطة إلا بأمر من النبي ﷺ .

والمسلمون اليوم يمتلكون سلاح النفط ، لكنهم متخاذلون عن استخدامه ، فهل يعقل قادة الدول الإسلامية هذا الأمر ؟ وإلى متى سيبقى المسلمون ، وهذا الذل والهوان ؟!

والله من وراء القصد .

نقلة نوعية نحو الإسلام *

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه ، وبعد :

فإن الصبر والتأني والتؤدة من الآداب التي أدب الله تعالى بها أنبياءه ، وكذلك قام الأنبياء بتربية أتباعهم على هذا المنوال .

وإذا قرأنا في كتاب ربنا عرفنا ما لاقاه الأنبياء من أقوامهم من النكال والأذى ، ومع هذا صبروا وتحملوا الأذى ولم يتعجلوا وكانوا قمة في الشجاعة . فهذا نوح عليه السلام مكث في قومه يدعوهم ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً ، قال نوح :﴿ إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً . فلم يزدهم دعائي إلا فراراً . وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ... ﴾ (نوح : ٥ - ٦) .

بل مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، قال تعالى : ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ﴾ (العنكبوت : ١٤) .

وهذا إبراهيم عليه السلام كم آذاه قومه وسفّهوا أحلامه وأضرموا له النار ، ورموه فيها ، ومع هذا صبر .

---

* العدد (٨٦) (جمادى الأولى ١٤٢٥هـ = يوليو ٢٠٠٤م).

وهذا موسى عليه السلام قال الله في حقه :﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرّأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ﴾(الأحزاب :٦٩) .

وهذا نبينا عليه الصلاة والسلام قال عنه قومه : ساحر ومجنون ، ويعلّمه بشر . آذوه ، طردوه ، رمي بالحجارة ، هُجي بالشعر ، وأوذي أتباعه أشد الأذى، فما كان يملك لهم إلا التهدئة والتصبير والوعد بالجنة .

لقد أتاه الأنصار ، أصحاب بيعة العقبة الثانية في موسم الحج ، وبايعوه ، فقام العباس بن عبادة بن فضلة على إثر البيعة ، فقال : «يارسول الله ، والله الذي بعثك بالحق ، إن شئت لنميلنّ على أهل منى غداً بأسيافنا» (وكانت قريش في خيامها بمنى) .

فقال النبي عليه الصلاة والسلام :«لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم» .

وجاءه المسلمون في مكة فقالوا : «يا رسول الله ، ألا تدعو الله لنا ، ألا تستنصر لنا». فقال :«والله ، ليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم قوم تستعجلون» .

فالصبر والتأني مطلوبان ومحبوبان ، والتسرع والعجلة مبغوضان ومرفوضان ، يقول عليه الصلاة والسلام :«التأني من الله والعجلة من الشيطان» .

ولما جاء جبريل عليه السلام ، ومعه ملك الجبال ، إلى نبينا عليه الصلاة والسلام ، بعد أن لاقى ما لاقاه النبي عليه الصلاة والسلام من قومه ، قال له ملك الجبال :«لو شئت لأطبقت عليهم الأخشبين» ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام :«لا ، إني أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يوحّد الله» .

فالسير وفق خطى الأنبياء فيه الخير والبركة والنصر والعز والتمكين .

إن الأمة حين تكون بحاجة إلى التربية وبحاجة إلى نقلة ، يمكن أن تسمى (نقلة نوعية) لا أقول إلى الإسلام برمته ، ولكن لتكون أقرب ما يكون إلى الإسلام ، حتى تصبر على الجوع واللأواء ، إن ألمت بها ملمّة يكون الجهاد الدعوي في أوساطها من أوجب الواجبات.

ولا يجوز لنا أن نتعدى ونصادم سنن الله عز وجل ، فننتقل إلى جهاد من نوع آخر .

يقول النبي عليه الصلاة والسلام :«جاهدوا المشركين بألسنتكم وأيديكم وأموالكم» ، فالجهاد أنواع : منه الدعوي ، ومنه الاقتصادي ، ومنه الإعلامي ، ومنه العقدي ، ومنه العسكري ... ومنه الجهاد الذي هو مواجهة بالمدفعية والطائرة ....إلخ.

فنصف عمر دعوة النبي (عليه الصلاة والسلام) بل أكثره قضاه في التربية ، وماذاك إلا لأهمية التربية . ومن العجيب أننا نستدل على أهمية

التوحيد بأن الفترة المكية تركزت لترسيخ التوحيد ، وإذا جئنا إلى قضية الجهاد نسفنا هذا الاستدلال ، وقلنا للمخالف : «خانع ، ذليل ، جبان ، مثبط...» .

إن بعض الشباب أصيب بالإحباط واليأس ، ونفد صبره ، ورأى أن مشوار الدعوة والتربية طويل ، فهرب منه ، وأراد أن يتخلص من هذا الوضع بأي طريقة كانت .

لكن المتعجل والمستعجل قال فيه النبي عليه الصلاة والسلام : «كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» .

ألا فالصبر الصبر ، والدعوة الدعوة ، والتأني التأني .

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه

تمكـين العمـلاء*

إن أعداء الإسلام بمختلف أجناسهم ومللهم يجمعهم أمر واحد لمواجهة الإسلام والمسلمين ، وهو حقدهم وعداوتهم ، وهذا أمر كما هو قديم حين كانوا يتجمعون لمقاتلة النبي (عليه الصلاة والسلام) وأصحابه الكرام ، فهو اليوم حديث حيث الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين .

في غزوة الخندق (الأحزاب) تجمّع عبدة الأصنام ، وانضم إليهم اليهود وغدروا ، ونقضوا عهدهم لحرب الإسلام والمسلمين . وكان أحبار اليهود مع معرفتهم بصدق نبينا (عليه الصلاة والسلام) ، كانوا يؤكدون لعبدة الأوثان أن قتال النبي (عليه الصلاة والسلام) حق، وأن استئصاله أرضى لله، وأن دين قريش أفضل من دين محمد، وأن تقاليد الجاهلية أفضل من تعاليم الإسلام.

واليوم تتجمع الدنيا كلها لحرب الإسلام والمسلمين . ويؤكد اليهود والنصارى تلك التصريحات القديمة لسلفهم ، قالوا : إن الإسلام دين إرهابي دموي ، لا يرضى بالتعايش مع الآخرين ، ويرفض مواكبة العصر والتطور . ورموا العلماء والدعاة بالتشدد والانغلاق ، وأوعزوا إلى عملائهم بأن يرددوا هذه العبارات ، وأن يرموا بالعلماء من الدعاة في غياهب السجون .

* العدد(٨٧-٨٨) (شعبان / رمضان ١٤٢٥ هـ= سبتمبر / أكتوبر ٢٠٠٤م) .

ولمّعوا عملاءهم عبر وسائل الإعلام ، بل وقالوا : إن ما يدعو إليه العلمانيون حق ، وإن تقاليدهم أفضل من تعاليم الإسلام ؛ وذلك أنهم يدعون إلى الأخذ بقيم وتعاليم وسلوكيات الأعداء من يهود ونصارى ، لذلك فأعداؤنا يمكّنون لعملائهم في الأرض ، ليفرضوا سيطرتهم ، ويبسطوا هيمنتهم ؛ كي تتبدل أخلاق المسلمين ، وتتغير مفاهيمهم، فيصبح لا فرق بين المسلم واليهودي والنصراني ، إلا في الأسماء فحسب ، وهذا ما يسعى إليه أعداؤنا ﴿ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواءً﴾ (النساء : ٨٩) ، ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ (البقرة : ١٢٠).

إن دفاع اليهود والنصارى عن الفاسدين والمفسدين من أبناء جلدتنا واضح بيّن ، فلا يحضرون مؤتمراً أو منتدىً إلا ومجّدوا عملاءهم ولمعوهم ، وأثنوا عليهم ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾ (النساء : ٥١) .

أسأل الله أن يرد كيد الكافرين والحاقدين في نحورهم ، وأن لا يمكن لهم في الأرض إنه سميع الدعاء .

والله الموفق

مزايا القرية الطيبة *

لقد فرض الله -عز وجل -الحج على عباده في السنة التاسعة من الهجرة، فلم يحج النبي عليه الصلاة والسلام في تلك السنة ؛ لأن المشركين كانوا لا يزالون يحجون ، ولا يزالون يطوفون حول البيت الحرام عراة ، لكنه أمر أبا بكر رضي الله عنه على الحجيج في العام التاسع ، ثم أرسل علياً رضي الله عنه بصدر سورة براءة ، وأن يخطب في الناس «ألا لا يحججن بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان» . ثم إنه حج عليه الصلاة والسلام في العام العاشر ، حيث اجتمع معه خلق كثير يأتمون به ، ويأخذون عنه مناسكهم .

لقد خرج عليه الصلاة والسلام من المدينة قاصداً مكة لخمس أو لأربع بقين من ذي القعدة ، ونفسه الشريفة تتوق لذلك البيت الحرام ، ولتلك البقاع المقدسة . فما هي يا ترى مزايا تلك البلدة الطيبة التي دعا لها إبراهيم ، حيث قال : ﴿ ... فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ ؟(إبراهيم : ٣٧) :

١- كونها أحب البقاع إلى الله :

يقول النبي عليه الصلاة والسلام : «والله ، إنكِ أحب البقاع إليَّ ، ولولا

* العدد(٨٩ / ٩٠)(ذو القعدة / ذو الحجة ١٤٢٥ هـ= ديسمبر٢٠٠٤ / يناير٢٠٠٥م) .

أن قومك أخرجوني منك ما خرجت» .

ويقول أيضاً : «إنكِ لخير أرض الله عز وجل ، وأحب أرض الله إليّ»(١) .

٢- الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة . يقول عليه الصلاة والسلام : «صلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة فيما سواه» (٢) .

٣- فضل الطواف بالبيت :

يقول عليه الصلاة والسلام : «من طاف بالبيت وصلى ركعتين ، كان كعتق رقبة» (٣) .

٤- فضل الحجر الأسود :

إن الحجر الأسود ياقوتة من ياقوت الجنة ، يقول عليه الصلاة والسلام : «إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ، طمس الله عز وجل نورهما . ولولا أن الله طمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب» (٤) .

٥- أن الحجر الأسود يأتي يوم القيامة وله لسان وشفتان ، يشهد لكل من استلمه بحق ، يقول النبي عليه الصلاة والسلام : «إن لهذا الحجر لساناً وشفتين يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق» (٥) .

٦- إن الركن اليماني والحجر الأسود لمسهما يحطان الذنوب حطاً :

يقول عليه الصلاة والسلام : «إن الحجر الأسود والركن اليماني يحطان

١- رواه ابن ماجه بإسناد صحيح .
٢- رواه أحمد بإسناد صحيح .
٣- رواه ابن ماجه ، وصححه الألباني .
٤- رواه أحمد ، وصححه أحمد شاكر .
٥- رواه الحاكم في مستدركه وهو صحيح .

الذنوب حطاً» .

٧- بركة ماء زمزم :

يقول عليه الصلاة والسلام : «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم ، فيه طعام طعم ، وشفاء سقم» (١) .

ويقول عليه الصلاة والسلام : «زمزم لما شرب له»(٢) .

٨- فضل الوقوف بعرفة :

وهذا اليوم لشرفه وفضله ، أقسم الله تعالى به ، فقال : ﴿والسماء ذات البروج . واليوم الموعود . وشاهد ومشهود﴾(البروج : ١ - ٣) فالمشهود هو يوم عرفة .

هذا اليوم «يباهي الله ملائكته بأهل عرفة يقول : انظروا إلى عبادي ، أتوني شعثاً غبراً» (٣) .

ويقول عليه الصلاة والسلام : «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنو عز وجل ثم يباهي بهم الملائكة ، فيقول : ما أراد هؤلاء»(٤) .

هذه الفضائل وغيرها هي التي تجعل القلوب تهفو إلى تلك البقاع الطاهرة، وتجعل النفوس متعلقة ومتلهفة لرؤياها ؛ لأن النفوس تتهذب

١- رواه الطبراني في الكبير .

٢- رواه أحمد وصححه الألباني .

٣- رواه أحمد ، وصححه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله .

٤- رواه ابن ماجه ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

وتتعلم الكثير والكثير من هذه العبادة ، فتتعلم الرفق والسكينة والإنفاق والإخلاص والمتابعة ، وتنتهي عما حرم الله عليها أثناء الإحرام ، كالرفث والفسوق والجدال ...» .

أسأل الله سبحانه أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، وأن يهدينا سبل السلام ، إنه سميع مجيب .

هل نحــن على مقدار التحدي؟ *

لقد بعث الله نبيـه محمداً ﷺ ليوجد أمة متكاملة ومتماسكة ، قال عليه الصلاة والسلام : «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم» . ولقد أقام النبي ﷺ هذه الأمة على أساس من التراحم والتآخي ، فحث المؤمنين على ألا يظلم بعضهم بعضاً ، ولا يحتقر بعضهم بعضاً ، فقال : «المؤمن أخو المؤمن ، لا يظلمه ولا يسلمه ولا يحقره ، بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ...» . وقال : «وكونوا عباد الله إخواناً» .

وكان من خطبته – عليه الصلاة والسلام – في حجة الوداع ، أن أوصى المؤمنين بوصية جامعة ، فقال : « ...إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ...» . وكان عليه الصلاة والسلام يُقوّم الصحابة وينصحهم ، ويعظهم في حال وجود أي خروج عن هذا المنهج الذي رباهم عليه .

فمن ذلك : أن أبا ذر رضي الله عنه حين قال لبلال رضي الله عنه :«يا بن السوداء» . وجاء بلال يشتكي إلى النبي ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام لأبي ذر : «أعيّرته بأمه ؟ إنك امرؤٌ فيك جاهلية...» .

* العدد (٩١) (محرم ١٤٢٦هـ = فبراير ٢٠٠٥م) .

ومن ذلك : تحريمه ﷺ للغيبة والنميمة حتى لا يبقى كل إنسان منشغلاً في مجالسه بأعراض الناس .

وتحريمه للتجسس «ولا تجسّسوا ولا تحسّسوا ...» حتى لا يبقى كل إنسان منشغلاً بتتبع الغير .

مثل هذه التحذيرات يعني أن تبقى صدور المسلمين سليمة بعضها من بعض ، متآلفة ومتراحمة ، يألم المسلم لألم أخيه ، ويفرح لفرحه ، ويحزن لحزنه .

وهذا الأمر قد ظهر جلياً في حياة الصحابة ، فكان شغلهم الشاغل عبادة الله عز وجل ، ومقارعة أعداء هذه الأمة ؛ لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .

وهكذا كان الأمر في زمن التابعين ، حتى بدأ الناس يخرجون عن الجادة ، فانشغلوا بما حذرهم النبي عليه الصلاة والسلام عنه ، فبدأ كيد الكائدين يظهر على الساحة ، ولم يجد من يقاومه إلا ما شاء الله من أولئك العلماء الأفذاذ ، الذين قيّضهم الله للدفاع عن دينه ، لكنَّ خطط الأعداء انطلت على بعض المسلمين ، فما من عقيدة ظهرت إلا ولها أتباع إلى يومنا هذا . فكيد الأعداء اليوم أكبر وأعظم ، فهم يخططون وينفذون ، وأبناء الأمة في سبات عميق إلا من رحم ربك ، والعلماء الربانيون قلة قليلة في المجتمع المسلم .

وأكثر هؤلاء قد انشغل بعضهم ببعض ، لا أقول في قضايا المنهج ، فهذا أمر لا بد منه وفق المنهجية التي رسمها سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ، لكنهم انشغلوا في أمور جانبية فرعية ، في وقت يعمل فيه الأعداء على جميع الصُّعُد : (عقدية ، إعلامية ، تعليمية ، اقتصادية ، ... إلخ) .

العدو جزّأ البلاد الإسلامية ، وشكّل الأحزاب القومية واللادينية ، وانتهك الحرمات والمقدسات ، وسلب الأوطان والخيرات ... إلخ ، والأمة تنظر إلى كل ذلك ولا حراك لها .

ونداءات العلماء والمصلحين كأنها صراخ في واد سحيق ، لا تكاد تسمع، ولو سمعت فما يستطيع السامع أن يفعل شيئاً ، إلا ما شاء الله .

غير أننا نرى انشغالاً من الأمة على جميع الصعد ، فالدول الإسلامية يحيك بعضها المؤامرات لبعض ، ويتحرش بعضها ببعض ، ويستولي بعضهم على أرض بعض ، ويقاتل بعضهم بعضاً ، وما اجتمع حكام المسلمين إلا ازدادوا تفرقاً .

وعامة الناس منشغلون بدنياهم ، والدعاة يتتبع بعضهم بعضا في الهفوات والزلات، والجماعات تقاطع بعضها بعضاً، وتكيد بعضها لبعض، ويحذّر بعضها من بعض ، ويلغي بعضها بعضاً ، ويحاول بعضهم هدم الآخرين ؛ ليقوم على أنقاضه ، ويفرح بعضهم لتضييق بعض الدول على مخالفيهم من الدعاة والجماعات ، أو إقفال وإلغاء بعض المؤسسات ... وهكذا .

والأمة مجتمعة تقر وتعترف بأن أعداءها يكيدون ويخططون لإضعافها ومحوها من الوجود ، وأن الأعداء يخططون وينفذون . لكن الأمر كما قال (موشي ديان) اليهودي : «المسلمون لا يقرؤون وإذا قرؤوا لا يفهمون ، وإذا فهموا لا يعملون ...» . لقد فرض علينا الأعداء مفاهيمهم وقيمهم فرضاً ، وصار المسلم يشعر بالذل والخزي إن أظهر مفاهيمه وقيمه ، إلا أولئك الذين ثبتهم الله عز وجل .

فهل يا ترى نحن على مستوى تلك التحديات ؟.. أترك الجواب للقارئ الكريم .

والله من وراء القصد

المتابعة أصل نجاح التربية *

إن أيَّ فرد أو جماعة يتبنى التربية ، لا يمكن أن ينجح ، أو تؤتي عملية التربية ثمارها ما لم يكن هناك متابعة جادة للتعرف على مدى مستوى التطبيق لتلك التوجيهات التي تصدر من قبل الفرد أو الجماعة ؛ وذلك لأن الناس يتفاوتون في قبول وتطبيق تلك التوجيهات ، فمنهم من يكون متلهفاً لسماع التوجيهات ؛ لأنه يريد أن يرتقي بنفسه ويصلح من شأنها ، ومنهم من لا يهتم بهذه القضية أو أنه يتلكأ ويسوّف ، لهذا كان لابد من المتابعة المستمرة للأفراد ، وإدامة السؤال .

والمتتبع للسيرة النبوية يجد أمثلة لذلك ، ونحن مأمورون بالتأسي بنبينا صلى الله عليه وآله وسلم في جميع أحواله ، قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ (الأحزاب : ٢١) .

أتي بجنازة ليصلي عليها النبي عليه الصلاة والسلام ، فقال : هل عليه دين ؟ قالوا : نعم ثلاثة دنانير . فامتنع أن يصلي عليه ، وقال : صلوا على صاحبكم . فقال رجل : صلِّ عليه يا رسول الله ودَينُه عليَّ . فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم لقي الرجل في اليوم التالي فقال له : ماذا فعلت بالدَّين ؟ قال : يا رسول الله ، هي ثلاثة دنانير فقط . ثم لقيه مرة أخرى ، فسأله : هل

* العدد (٩٢ / ٩٣) (صفر / ربيع الأول ١٤٢٦هـ= مارس / إبريل ٢٠٠٥م) .

سددت دين الرجل ؟ فقال الرجل : نعم يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : الآن بردت جلدته .

فهذه المتابعة منه عليه الصلاة والسلام لهذا الصحابي الذي التزم بسداد دين الميت ، تدل على أهمية المتابعة في التربية ؛ ليحصل التمييز بين الناس والاصطفاء للقيادات . ولو كان الأمر غير مهم ، لكان الناس سواءً ، غير أن المتتبع لأحوال الجماعات الدعوية يرى ضعف هذا الجانب واضحاً إلا ما شاء الله تعالى ، ولهذا نشأ جيل منفصم عن تطبيق التوجيهات مع حفظه للنصوص ، وفي المقابل نجد أن الأحزاب العلمانية المعادية للدين تربي أتباعها على الطاعة ، وتتابع الأفراد متابعة جادة ، وهكذا الطوائف المبتدعة كالروافض وغلاة الصوفية ينشئون الأتباع على الطاعة العمياء ، وعلى تقديس أقوال المربين والموجهين ، حتى أن الروافض جعلوا كلام الأئمة مقدماً على كلام الله في حال التعارض ، قالوا لأن القرآن غير معصوم وأن أئمتهم معصومون ، وهكذا غلاة الصوفية قالوا للمريد : كن بين يدي المربي كالميت بين يدي المغسِّل . وقالوا : لا تعترض فتنطرد . ونحن لا نريد قتل هذا الغلو ، بل نريد التربية المنضبطة وفق الكتاب والسنة ، إذ الطاعة بالمعروف ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وهكذا علمنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم . والذي نأمله من القائمين على العمل الإسلامي : الاهتمام بالتربية الجادة والمعتدلة ، مع الاستمرار في المتابعة والتقويم .

أسأل الله تعالى للجميع التوفيق والسداد ، والله من وراء القصد .

تكريم أهل الفضل*

كان من خلق النبي عليه الصلاة والسلام تكريم أهل الفضل وإنزالهم منازلهم ، حتى ولو كانوا كفاراً . فمن ذلك أنه كان يكرم الرسل (السفراء) الذين كانوا يرسلون إليه من الملوك والسلاطين في زمنه ، وكان إذا راسل ملكاً أنزله منزلته ، مثل : كتابه إلى هرقل ، كتب إليه : «من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم» . ولما حَكم يهود بني قريظة سعد بن معاذ ، وكان قد جرح في غزوة الخندق جرحاً شديداً ، فلما وصل إلى المسجد قال النبي عليه الصلاة والسلام للأوس : «قوموا إلى سيدكم فأنزلوه» .

ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ : «من أحب أن يقرأ القرآن كما أنزل فليقرأه بقراءة ابن أم عبد » يعني ابن مسعود .

ومن آثار السلف : «أنزلوا الناس منازلهم» . وكان سلفنا الصالح رحمهم الله يكرمون أهل الفضل ويقدمونهم ويعظمونهم ، فلا يصدرون ولا يوردون إلا بحسب توجيهاتهم ؛ ولذلك أعزهم الله وبارك لهم في حياتهم.
أما في زماننا هذا ، فإن أكثر السهام موجهة إلى أهل الفضل ، وإلى أهل العلم منهم بخاصة : جرحاً واستهزاء وانتقاصاً ، بل ورفضاً واحتقاراً

* العدد (٩٤) (جمادى الأولى ١٤٢٦هـ = يونيو ٢٠٠٥م) .

لتوجيهاتهم ، فلا يُرفع لكلامهم رأس . فالبعض سلب القيادة من أيديهم وسلّمها لمن يسمونهم بالسياسيين والمثقفين ، وآخرون احتقروا العلماء ورموهم بكل نقيصة ، وتتبعوا هفواتهم وزلاتهم ، ونسوا أنهم ليسوا معصومين من الزلات والهفوات .

«فمن ذا الذي ما ساء قط

ومن له الحسنى فقط»

ونسوا أن السلف كانوا «يقيلون ذوي الهيئات عثراتهم» ، وكانوا يغمرون تلك الهفوات والزلات في بحر حسناتهم .

ولم يبق ممن يكرم أهل الفضل ، وينزلهم المنزلة التي تليق بهم ، إلا من وفقهم الله ، ورزقهم الاعتدال في الأمور كلها ، فلا إفراط ولا تفريط .

فأهيب بشباب الصحوة أن يعوا هذه المعاني ، وأن ينزلوا الناس منازلهم ، وليعلموا أنه لا خير فيمن انتقص من أهل العلم والفضل ، ويوشك أن يعاقب من كان هذا خلقه .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

حصار قريش وحصار البنك الدولي*

لقد كان من سياسة الكفار والمنافقين ضرب الحصار على المسلمين ، ورسم الخطط لتجويعهم وإفقارهم بشتى الطرق والوسائل ، ففي مكة حاصرت قريش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث سنوات في شعب أبي طالب ، حتى كان المسلمون يأكلون أوراق شجر السمر ، ويضعون كما تضع الشاة ما له خلط حتى كانوا يأكلون الجلود ، كل ذلك لعلهم يرجعون عن دينهم ، ولكنهم صبروا وصابروا حتى خرجوا من الحصار منتصرين ، ولم يجن المشركون سوى العلقم . وفي المدينة قال المنافقون :﴿ لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ (المنافقون :٧) . ورغم ذلك التآمر فلم ينفض أحد من حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بل ازدادوا صلابة في إيمانهم .

واليوم يقوم الأعداء بنفس الحصار الذي قام به الأولون ، يريدون من وراء ذلك إخضاع المسلمين لقوانينهم وأعرافهم ؛ كي يسيروا على طريقتهم المنحرفة ، بل يريدون ما هو أكبر من هذا ، وهو الكفر بالله العظيم : ﴿ ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواءً ﴾ (النساء : ٨٩) .

وإن من خطط هؤلاء الأعداء في إفقار الشعوب : إغراقهم بالقروض

* العدد(٩٥) (رجب ١٤٢٦هـ= أغسطس ٢٠٠٥م) .

الربوية عبر البنك الدولي وغيره من المؤسسات ، حتى إذا لم تستطع الدول تسديد الفوائد الربوية – وليس القروض – خططت هذه المؤسسات لتلك الدول كيف تدخر الأموال لكي تسدد القروض ، فتطلب هذه المؤسسات فرض الضرائب الجائرة على الشعوب ، ورفع الدعم عن كثير من المواد الأساسية ، وتطلب فسح المجال للسلع الخارجية بالدخول إلى البلدان بدون رسوم ، أو برسوم منخفضة جداً ؛ مما يؤدي إلى كساد السلع المحلية ورواج السلع الخارجية ؛ لأنها في نظر المستهلك أفضل ، وبنفس الثمن أو بزيادة يسيرة ، هذه الأمور يسميها هؤلاء إصلاحاً ، وهو الفساد بعينه ، قال الله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾(البقرة ١١ -١٢) .

إن أولئك الذين يصغون لإملاءات الأعداء لن يصابوا بلفح التبعات ، بل الذين سيكتوون بالنار هم الملايين من أبناء الشعوب . ولكن يأتي هنا دور العلماء وطلبة العلم في توعية الأمة ؛ كي يثبتوا على دينهم وإيمانهم ويقوّوا توكلهم على الله عز وجل ، ويطرقوا شتى الأبواب والطرق في طلب الرزق . وأنا على يقين أن اليسر مع العسر إذا اتقينا الله تعالى ، واستقمنا على أمره : ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً ﴾(الجن : ١٦) ، ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ (الطلاق : ٣) ،﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا

عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ (الأعراف : ٩٦) . فالمسلمون لما أطاعوا أعداءهم ، ونفذوا خططهم ، وعصوا ربهم ؛ سلّط الله عليهم عدوهم ، وجعل السلطان يجور عليهم .

لقد نحّى المسلمون حكم الله تعالى ، واحتكموا إلى القوانين الوضعية ، ورخصوا بنوك الربا ، وشجعوا الفاسدين لممارسة فسادهم ، فحلّت النقم بالجميع : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة ﴾(الأنفال : ٢٥) . لقد انقطعت الأمطار ، وجفت العيون والآبار ، وجار السلطان وغلت الأسعار ؛ كل ذلك بسبب الذنوب والمعاصي .

إذا كان النصر في غزوة أحد تحوّل إلى هزيمة بسبب معصية واحدة ، فكيف بهذه الذنوب وغيرها مجتمعة ؟! .. إنها كفيلة بإهلاك الأمة ، لكن الله عزوجل لا يزال رحيماً بها .

فعلى الأمة أن ترجع إلى الله عز وجل ، وتترك العصيان ، وتحارب الفساد والمعاصي حيثما كانت ، فإن فعلت ذلك أعزها الله وأحياها حياة طيبة : ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾(النحل : ٩٧) .

والله من وراء القصد

المنظومة المتكاملة *

كان الناس في جاهلية وشر ، اختلطت في حينها الأوراق وتبدلت الشرائع ، فصار الحق باطلاً ، والباطل حقاً ، وسُنّت القوانين والأنظمة المخالفة لما شرعه الله عز وجل ، فجاء الله بهذا الدين ، ليعيد الأمور إلى نصابها الحقيقية ؛ ليكون ديناً يشمل جوانب الحياة كلها ، وليس قاصراً على بعض القضايا . ففي جانب العقيدة ، جاء النبي ﷺ ليوجد أمة ذات عقيدة وسطية ، بعيدة عما وقع فيه اليهود من الوقاحة وسوء الأدب مع الله ، وبعيدة عما وقع فيه النصارى كذلك ، بل وبعيدة عما كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأصنام ، وإعطائها صفات من صفات الله ! وأسماء من أسمائه عزوجل !

وفي جانب النبوة ، جاء عليه الصلاة والسلام ليوجد أمة معتدلة ، بعيدة عما وقعت فيه اليهود من : قتل الأنبياء ، وتشريدهم وطردهم ، وكذلك بعيدة عن الغلو الذي وقعت فيه النصارى ، الذين جعلوا عيسى عليه السلام ابن الله ، بل عبدوه من دون الله ! فقال عليه الصلاة والسلام : «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا عبدالله ورسوله» .

وفي جانب العبادة ، جاء عليه الصلاة والسلام ليعيد الأمور إلى نصابها ، والمياه إلى مجاريها ، فلقد كانت قريش في الحج تقف في المزدلفة ولا تصعد

* العدد (٩٦) (شعبان ١٤٢٦هـ = سبتمبر ٢٠٠٥م) .

إلى عرفات ، وتقول : نحن أهل الحرم ، فلا نتجاوزه إلى الحل ، وكانت أيضاً لا تدفع من مزدلفة إلى منى حتى تشرق الشمس على جبل ثبير ، وتقول : أشرق ثبير كيما نغير .

وفي جانب الاقتصاد كان اقتصاد السوق آنذاك عند اليهود والنصارى والعرب ربوياً ، فجاء عليه الصلاة والسلام وحرّم الربا ، وحاربه بجميع صوره، ووضع منظومة اقتصادية عادلة ، بعيدة عن استغلال الناس وابتزاز أموالهم . وحرم الغش ، كما في حديث الصبرة من الطعام :«من غش فليس منا» ، وحث على الصدق في البيع ، والسماحة في الشراء :« فإن صدقا وبيّنا بورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما» . . . إلخ .

وفي جانب التعليم ، جاء عليه الصلاة والسلام ليحث على التعليم ، وكان له مترجمون وشعراء وخطباء : «خيركم من تعلم القرآ ن وعلمه» ، «من كتم علماً ألجمه الله لجاماً من نار يوم القيامة» ، «اكتبوا لأبي شاه» .

وجاء لينظم العلاقة بين الدولة المسلمة والدول الكافرة ، فأوجد نظاماً في غاية العدل والاعتدال ، فكان يستقبل الوفود ، ويكرمهم ، ويحرم قتلهم : «لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتك» ، وكان يكاتب الملوك ، ويدعوهم إلى الله ، وكان يتعامل معهم تجارياً بما يحقق مصلحة جميع الأطراف ، ويعقد معهم العهود والمواثيق . . . إلخ .

وفي جانب البيئة جاء الإسلام ليحافظ على بيئة نقية ونظيفة :« نظّفوا

أفنيتكم ، فإن اليهود لا تنظف أفنيتها» ، «وإماطة الأذى عن الطريق صدقة» ، «الإيمان بضع وسبعون شعبة . . .وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» ، «اتقوا الملاعن الثلاث : التبرز في طريق الناس ، وظلهم ، وفي موارد الماء» . . .إلخ .

هذه بعض الجوانب ا لتي تدل على كمال الإسلام ، فهل يعقل هذه المعاني أولئك الحمقى ، الذين بهرتهم حضارة الغرب ، فأعمتهم عما جاء به هذا الدين ، الذين صاروا أبواقاً للغرب ، وببغاوات يهرفون بما لا يعرفون ، وصاروا ينادون بضرورة السير على ركاب الغرب ، والأخذ بطريقتهم وأنظمتهم دون تمييز وتمحيص ؟!

وصدق رسول الله ﷺ حين أجاب حذيفة عن تساؤلاته كما في صحيح البخاري ، قال : يارسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاء الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم . قال : فهل بعد هذا الشر من خير ؟ قال : نعم ، و فيه دخن . قال : وما دخنه ؟ قال : دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها . قال : صفهم لنا يارسول الله . قال : هم من أبناء جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ، تعرف منهم وتنكر . قال : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : الزم جماعة المسلمين وإمامهم . قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : اعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة .

هذا والله الموفق ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

ما أكثر من يموت .. لكن شتان ! *

لقد جعل الله جل وعزّ لأهل العلم مكانة عالية سامية ؛ وذلك لأنهم ورثة أنبيائه والمبلغون عنه بعد وفاة الأنبياء ، قال الله سبحانه : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ (المجادلة :١١) وقال : ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب ﴾ (الزمر : ٩) . والعلماء هم صمام أمان للمجتمع ، فبالعلم والعلماء يظهر الحق والسنة ، ويغيب الباطل والبدعة ، وبغياب العلم والعلماء الصادعين بالحق الناشرين للفضيلة ، يحصل الضلال للناس ، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العلماء ، ولكن يقبضه بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا» .

وغياب العلم علامة من علامات قرب قيام الساعة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في ذلك : «يرفع العلم ، ويثبت الجهل ، ويفشو الزنا» . ورفع العلم لا يكون إلا بموت العلماء ، الربانيين بالذات ، الصادعين بالحق ، الذين لا يخافون في الله لومة لائم .

* العدد (٩٧) (ذو القعدة ١٤٢٦هـ = ديسمبر ٢٠٠٥م) .

ولقد جعل النبي عليه الصلاة والسلام الصدع بالحق من أفضل أنواع الجهاد ، كما جاء في الأثر : «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» . وشهد النبي عليه الصلاة والسلام لمن قتل بسبب نطقه وجهره بالحق ، بأنه من الشهداء ، فقال : «سيد الشهداء حمزة ، ورجل قام إلى سلطان جائر فوعظه فقتله» .

ولقد شهد العالم الإسلامي في السنوات الماضية فقد جمهرة من كبار علماء الأمة ، كالشيخ الألباني ، الذي كان له أثره الواضح في نشر سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، ولقد ورّث كتباً كثيرة في هذا المجال ، ستظل الأجيال تنهل منها ، وكان صادعاً في الحق وقارع أهل الأهواء والبدع . وكالشيخ ابن باز رحمه الله ، الذي كان إماما يقتدى به بالقول والعمل ، ولقد كان ناشراً للتوحيد ، صادعاً بالحق مع الحكمة والرفق واللين. وكالشيخ ابن عثيمين رحمه الله ، الذي كان فقيهاً بارعاً ، ينقش الفوائد بالمنقاش ، بعبارات في غاية من السهولة ، ولقد انتشر صيته وصيت الشيخ ابن باز في الآفاق ، وورّثا للأجيال كتباً في فنون مختلفة ، سيستفيد منها اللاحق كما استفاد منها السابق . وكذلك الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله ، الذي كان مجدداً للسُّنة في اليمن ، انتشر على يديه الخير الكثير ، وورّث كتباً مفيدة قيمة ، ستبقى له لسان صدق في الآخرين بإذن الله .

وما أكثر من يموت من هذه الأمة ، لكن دون أن تتأثر ، بل دون أدنى شعور ،

لكن الأمة تجزع وتتحسر على فقدان من كان له أثر في هذه الحياة ، سواء كان منفقاً في سبيل الله ، أو مجاهداً ، أو عالماً ... إلخ ، بل منهم من يتجاوز تأثيرهم ذلك الشعور ، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام لـمّا توفي سعد بن معاذ : «لقد اهتز له عرش الرحمن» . فرجل يهتز له عرش الرحمن ، ما ذلك إلا لفضله وأثره .

وأحسب أن من أولئك العلماء الذين كان لهم دور وأثر ، وكان من الصادعين بالحق : الشيخ عمر أحمد سيف رحمه الله ، الذي لحق بركب الراحلين من أهل العلم ، وانتقل إلى جوار ربه يوم الخميس ٢٢ شوال ١٤٢٦هـ ، الموافق ٢٤ / ١١ / ٢٠٠٥م ، فلقد كان رحمه الله قوّالاً للحق حيث يجبن الكثيرون ، وكان كما نحسبه – ولا نزكي على الله أحداً – ممن لا يخاف في الله لومة لائم ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، مناصحاً للحاكم ولصناع القرار ، وكان رحمه الله واعظاً مؤثّراً ، يحتشد لمواعظه وخطبه الآلاف من الناس ، وكانت له مواقف مشرّفة في نصرة الحق ، لم يستطع الكثيرون أن يقفوا مواقفه ، وبوفاته تفقد الأمة علماً من الأعلام .

أسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته ، وأن يهيئ للأمة علماء ربانيين يقولون الحق ولا يخافون لومة لائم ، إنه سميع مجيب .

الفهرس

قسيمة مرصد الكلمة الطيبة الإصدار التاسع عشر
(مواقف من السيرة - الجزء الأول)

يرجى إرسال هذه القسيمة بعد تعبئتها على العنوان التالي :

الجمهورية اليمنية - صنعاء - مركز الكلمة الطيبة للبحوث والدراسات العلمية
هاتف : ٢٥٣٤٦١ -١- ٠٠٩٦٧ ، فاكس : ٢٥٣٤٦٠ -١- ٠٠٩٦٧
ص.ب : ١٤٤٨٠ مكتب بريد معين

س : كيف وصلك هذا الإصدار ؟

إهداء ☐ شراء ☐

س: من أي مكتبة أو مؤسسة حصلت عليه (اذكر الجهة) ؟

س: ماهو انطباعك عن هذا الإصدار ؟

س: هل لديك أي ملاحظات تود لفت النظر إليها (اذكرها)؟

١ - ....

٢ - ....

٣ - ....

س: ماهي الموضوعات التي تقترحها للإصدارات الجديدة ؟

١ - ....

٢ - ....

الاسم : .... **المهنة :** ....

العنوان : .... **رقم الهاتف:** ....



صدر عن مركز الكلمة الطيبة للبحوث والدراسات العلمية

- ضمن سلسلة الرسائل الجامعية :

١- القبورية في اليمن (نشأتها - آثارها - موقف العلماء منها)، للشيخ : أحمد بن حسن المعلم .

٢- تفسير ابن الأمير الصنعاني (تحقيق ودراسة القسم الأول من المخطوطة) للباحثة : هدى بنت محمد بن سعد القباطي - رحمها الله .

- ضمن سلسلة رسائل الأحكام الفقهية :

١- شرح أحاديث الصيام من بلوغ المرام ، للشيخ : ناظم بن سلطان المسباح (ثلاث طبعات) .

٢- رفع القناع شرح منظومة أحكام الرضاع ، شرحها : سالم بن عمر باسماعيل .

٣- هداية الناسك لأحكام المناسك ، للشيخ : ناظم بن سلطان المسباح .

- ضمن سلسلة رسائل التوجيهات والآداب :

١- الحقوق السوية بين الزوجين ، للشيخ : ناظم بن سلطان المسباح (طبعتان) .

٢- الثأر (دراسة شرعية واقعية للأسباب والطرق المقترحة للعلاج) للدكتور : سعيد منصور موفعة .

٣- أخلاقيات العمل الإداري ، للدكتور : عبد العزيز دخان .

٤- السُّنن العشر الثابتة في الرزق ، تأليف : أنيس بن سالم الشيباني .

٥- رسالة إلى معلم القرآن الكريم ،تأليف : محفوظ عبد الله قاسم .

- ضمن سلسلة رسائل العقيدة والمنهج :

١- المختصر في أصول ومعالم الدعوة السلفية ، أعده وراجعه مجموعة من الدعاة(طبعتان) .

٢- المولد النبوي أصله وحقيقته ، للشيخ أحمد بن حسن المعلم .

٣- يوم عاشوراء ومقتل الحسين رضي الله عنه بين الرافضة والناصبة ، للشيخ أحمد بن حسن المعلم .

٤- عقيدة المسلم في آل البيت بين الغلو والجفاء ، للدكتور : يحيى بن عبد الله الأسدي .

٥- أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق ، إعداد : موقع مهتدون الإلكتروني .

٦- الزيدية في اليمن - حوار مفتوح ، الشيخ : محمد بن محمد المهدي .

- ضمن سلسلة رسائل نحو ثقافة ملتزمة .

١- إلى من يهمه الأمر ، للشيخ : عبد العزيز الدبعي .

٢- مواقف من السيرة ، للشيخ : عقيل بن محمد المقطري .